

ماهين شيخاني

علي ضفاف الخابور

- قصص -

قراءة ممتعة  
مع تحيات يحيى الصوي في  
مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية  
SyrianStory

الأهداء 000

إلى ..

كل من شجعني على الكتابة

وأخص بالذكر

الأخ القاص حسن سليمانني 000

.. إلى حديقتي الصغيرة 000

.. إلى كل من أكتوى بنار الحب 000

\* ماهين شيخاني

دراسية

هذه القصص

هذا القاص . . !

مصعوقاً أمام الواقع المدجج بالتناقضات ، الذي يفرز  
عناصر غارقة في الكاركاتيرية إلى حد الفجعة ، ياغتنا الصديق  
ماهين شيخاني  
وهو يجرّ خلفه إرثاً هائلاً من المعاناة ، والمتاعب ، والأحزان ،  
واللهات ، ينقر بأصابع واثقة بللور هدأتنا ، ويستوقفنا عبر الدهليز  
المديد ، المعتم ، الذي يستأثر بروناماتنا اليومية ، كي نصيخ إليه السمع  
، وهو يتشظى عبر إهاب قصصي ، كي نرى ، إننا حقاً أمام صوتٍ

ولعل معرفة ذلك التواشج المدهش بين الباحث ونصوصه ، حتى وإن  
بدا هذا خارج حدود ( النص ) في لغة النقد الجديد - تدعونا لأدراك  
بدهية كون الكتابة لدى ماهين شيخاني خياراً لا بد منه ، فالكتابة  
أحد الأشكال الفنية التي التفت أمراسها حول عنقه ، على شكل  
انشوطة أبدية ، وشدته صوب أتون محرقها ، مكرهاً ، ودعته ان يرى  
في الدنو من ألسنتها ، و مواجهتها ، شكلاً من أشكال الخلاص على  
اعتبار إن الكتابة - قبل كل شيء - هي تحويل الدم إلى حبر ، كما

اللغة في مهب الضياع

الجسد تحت سطوة المدينة

الحلم في دائرة الحجر

الفرح المنفي 000

حيث وباختصار ، كل ما هو جميل في عالمه مهدد بالزوال والإقصاء

على نحوٍ صارخ ، الأمر الذي لا يترك أمامه أي مجال للتأني والتزويق



أجل ، أن قصة ماهين لا تنجّل من طرح هويتها الواضحة  
غير المواربة البتة ، نتيجة ما سبق - كمواجهة - لتلك الحالة  
الاستلابية ، ولذلك فهي مشغولة بعالمها الداخلي الذي يرصده  
الكاتب دون تورع حتى عن اللجوء إلى التفاصيل التي قد تخدم رؤاه  
دون أن تتيح له المجال للاصطفاء ، والإقصاء ، التقنين ، إنها تماماً  
حالة من يفكر بأن يؤكد لمن حوله ، أن المكان الذي يقف عليه إنما  
تشهد ذاكرته - وبلا ريب - بأنها تفوح برائحته هو وعلى نحو آخر  
يمكن القول :إنها باختصار حالة من يرى لا ينبغي أن يسترسل كثيراً  
وراء هندسة بناء قصر شامخ بسبب بسيط هو أن المكان الذي  
سيشيد عليه عمارته تلك ، أحوج في زمن اختلال المقاييس إلى تقديم



أجل إنني أجزم لو أن القاص لم يكتب خلال حياته غير هذه  
القصة فقط . لكان من حقه أن نعهده - ومن خلالها فقط - كواحد  
من قصاصينا المبدعين ، حتى وان انطلقنا في نظرتنا إلى مثل هذه

إبراهيم اليوسف - قامشلي 2001/4/10

ليس الهدف من حياتي هو الفن . . بل تحرير شعبي  
من الظلم والاستبداد...

يلماز غوني

## الحدود

اخضوضرت الدرباسية وأطرافها ببساط ربيعي،  
وبدأ الناس يخرجون لرعي ماشيتهم.كنت أنا وزميل لي  
بالقرب من صوامع الحبوب المتاخمة للحدود. (لولا  
المفرزة العسكرية القريبة منها لاستطاع الانسان أن  
يقفز من حائطها ويدخل الى تركيا).

يسألني زميلي عن الدراسة وعن المدة التي بقيت خارج البلدة لإكمال الدراسة وهل أستطيع التوظيف في صوامع الحبوب، باعتبار دراستي في مجال الزراعة. أثناء الحديث التفت نظري الى ديك رومي يأتي باتجاهنا من الشمال.

انتابني شعور خفي وكأن هذا الديك هو قدرتي ، وتذكرت وعل سيامند تيبست في مكاني وأنا انظر إليه .كيف نُتف ريشه وهو يريد ان يخرج نفسه من بين الأسلاك الشائكة الواقعة بيننا وبين تركيا وبعد محاولات متكررة تخلص الديك أخيراً من أسلاك ونزل إلينا فأمسكنا به.

ابتسم صديقي وقال:يا لطعامنا الشهي لهذا اليوم!! وبعد فترة قصيرة خرجت فتاة من الدار، تنظر هنا وهناك وكأنها فقدت شيئاً ما انتبهت إلينا ونحن ننظر إليها

فاتجهت نحونا دون أن تبالي بالمفرزة العسكرية أو الحرس، نعم اتجهت إلينا وأنا مندهشٌ لجرأتها. أنها فتاة عصرية لباسها يدل على أنها من خارج البلدة الصغيرة.

اقتربت .واقتربت حتى أصبحت على بعد بضعة خطوات على مقربة منا.سلمت علينا بالتركية . فقلت :

?tu kurdmanj,

فَرَحْتُ كَثِيرًا لَدَى سَمَاعِهَا بِذَلِكَ وَرَدَدْتُ بِلُغَتِي: نَعَمْ إِذَا  
أَنْتُمْ كَرَدَ أَهْلًا وَسَهْلًا.  
فَقُلْتُ لَهَا : أَلَا تَخَافِينَ مِنَ الْعَسَاكِرِ . إِذَا رَأَى أَحَدَهُمْ  
سَيَطْلُقُ النَّارَ عَلَيْكَ ابْتَعْدِي رَجَاءً أَلَسْتَ مِنْ هُنَا؟  
رَدَّتْ قَائِلَةً: مِنْ هُنَا وَلَكِنِّي أَدْرُسُ فِي مَكَانٍ آخَرَ.  
أَوْه، يَا لِلصَّدْفَةِ وَأَنَا أَدْرُسُ فِي مَكَانٍ آخَرَ غَيْرِ  
الدَّرْيَاسِيَّةِ. وَلَكِنْ مَاذَا تَدْرُسِينَ.  
قَالَتْ : أَدْرُسُ لِكِي أَتَخْرُجُ مَعَلِّمَةً مَدْرَسَةً (خَوْجَةَ).  
حَسَنًا فَعَلْتِ ، مَعَلِّمَةً ، سَتُخْرِجِينَ جِيلًا يَسْتَطِيعُونَ  
التَّقَرُّبَ مِنَ السِّيَاحِ وَحَتَّى قَطَعَهَا أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟  
ضَحِكْتَ وَقَالَتْ: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّكَ جَعَلْتَنِي أَنْسَى مَا جِئْتُ  
أَبْحَثُ عَنْهُ فَقَدْ نَسِيتُ الدِّيكَ حَيْثُ خَرَجْتُ لِأَفْتَشَ عَنْهُ  
لِنَذْبَحِهِ .

- إِذَا هَذَا الدِّيكَ لَكُمْ وَرَفَعْتَهُ.
- نَعَمْ نَعَمْ إِنَّهُ هُوَ . يَا لَهُ مِنْ إِبْلِيسِ ، كَيْفَ عَبَرَ  
الْحُدُودَ ؟
- سَأُرَدُّهُ لَكُمْ وَلَكِنْ بِشَرَطٍ ؟
- قَالَتْ : قَبْلَ أَنْ أَتَكَلَّمَ: عَرَفْتُ شَرْطَكَ أَنْ لَا أذْبَحَهُ  
وَهَذَا وَعَدَ مِنِّي أَنْ لَا أذْبَحَهُ مَهْمَا حَصَلَ. وَلَكِنْ قُلْ لِي  
مَاذَا تَدْرُسُ أَنْتِ .
- قُلْتُ: دَرَأَسْتِي فِي مَجَالِ الزَّرَاعَةِ وَلَكِنْ..
- وَلَكِنْ مَاذَا...؟ أَلَمْ تَنْتَهَ مِنْهَا...؟

- نحن يا أنسة مواطنون من الدرجة الأخيرة،توظيفنا صعب وحياتنا اصعب، ندرس ونتعلم،نغترب ونأتي إلى هنا - ثم أشرت إلى صوامع الحبوب - لنشتغل عتالين بدلاً عن التوظيف وقفتُ هنيهة دون حراك وكأنها تألمت لمأساتي.

وقالت : أريد منك ان تكتب عنوانك حتى أراسلك وأعرف منك كل شيء فهل هذا ممكن؟.

أخرجتُ القلم وكتبتُ اسمي وعنواني على ورقة صغيرة ووضعت بينها حجرة و قذفت بها إلى الجهة الأخرى ، رفعت يديها لي شاكرة.

فقلت:الباب التي خرجت منها لكم إذاً.

قالت : نعم لنا .

قلت: في أيام الربيع نخرج عادة إلى هنا نتمشى ونريد ان نكون قريبين من الجبل أكثر بإمكانك أن تخرجي يوم الجمعة حوالي الساعة الخامسة على ذلك التل وأنا سأخرج و سأكون هناك قرب ال... - وأشرت بإصبعي إلى الاتجاه المطلوب - فبيتنا قريب من هناك.

أمسكت بالديك ورميته وكأنني ارمي قطعة من قلبي لها وقلت:حافظي عليه.نظرتُ إلي لوحت بيدها وابتعدت شيئاً فشيئاً حتى دخلت الباب والتفتت إلينا ورفعت يدها مرة أخرى.

رجعتُ إلى البيت وصورتها لا تفارق ذهني وكلامها لا يفارق من مسمعي إنها نعمٌ لحنٌ موسيقي في

وأخيراً جاء يوم الجمعة واقتربت الساعة من  
الخمسة وقلبي يدق وتراودني أفكار شتى هل يا ترى  
ستأتي الي موعدها ، أم انها كانت مجاملة لا اكثر ولا  
اقل و نسييتي؟.

مازال المنظار أمامي. وعيني لا تترك العدسة  
وإذ يزداد خفقان قلبي وخانني اللاشعور وصحتُ بأعلى  
صوتي إنها هي ...!!...إنها هي انظروا...! انظروا جيداً  
إنها تخرج من الدار نفسها وتتجه نحو التلة المقصودة  
بالذات لوحتُ لها بيدي وقلبي يرقص فرحاً ، وكأنه يريد  
ان يخرج من صدري.

لوحتُ أيضاً بيديها وبقينا هكذا نلوح بأيدينا حتى  
غابت الشمس و منذ ذلك الوقت، أرسلها وتراسلني ،  
حتى خصصت ألبوما لصورها وصور أهلها أنها تكتب  
كل شيء...كل...ما يجول في خاطرها.. وحبنا يكبر  
وشوقنا يزداد يوماً بعد يوم...ومع ذلك لا أستطيع  
رؤيتها ولو مرة واحدة.

رؤيتنا للبعض فقط من خلال الصور والرسائل ،  
ومناسبات الأعياد من بعيد فقد كتبت لي ذات مرة تقول:  
لماذا لا تستطيع زيارتنا فأبناء بلدكم يأتون إلى تركيا ألا  
تُحبنى بالله عليك إذا كنت تحبني فاحصل لك على جواز

فقلت : يا حبيبتى ألم أقل لك نحن مواطنون من  
الدرجة الأخيرة. فأنا محروم من هويتي كإنسان ،  
محروم من أبسط الحقوق الإنسانية محروم من حق  
المواطنة فأين لي بجواز سفر كي آتي إليك. أه... أيتها  
الحدود اللعينة إنك لست من حديد، لأن الحديد  
يذوب، يتأثر بالبرد والحرارة وحرارة قلوبنا تذوب أفسى  
أنواع الحديد والسياح.

ومازالت القصة مستمرة

## العواصم

علمته أسماء العواصم والدول وفهمته أن  
العاصمة هي كبرى المدن في الدولة ولها أهميتها  
الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية. فالرؤساء والوزراء  
يجتمعون فيها... الخ

نعم ، بدأت اعلمه في وقت فراغه تقريباً كل ما  
اعلمه ، حتى اصبح يحفظها عن ظهر قلب ، فأسأله عن  
عاصمة سوريا ؟  
- يجيب مباشرة:دمشق.  
- تركيا...؟  
- عنقرة فابتسم و أقول له بالألف وليس العين أنقرة  
- العراق...؟  
- يرفع رأسه وينظر الى السقف وابتسامة تبسط  
فيّه حيث تتبين أسنانه وينكشف الفراغ بسبب سقوط  
سنين من أسنانه اللبنية.  
- تذكرت ...بيبدأ بحرف الباء  
...نعم...بغ...بغ...بغداد.  
أمسد شعره حيث يشدني من الداخل موجة فرح  
وأقول : غداً إنشاء الله سنتعرف على ثلاث عواصم  
أخرى  
هكذا بدأنا المشوار .أنا و آزاد .إلى إن جاءني ذات مرة  
وقال :  
- بابا،لقد عرفت...؟  
- ماذا عرفت يا بني ...؟!  
- عرفت ان كل دولة لها عاصمة ...  
قاطعته :وهل اغني في الطاحونة؟ ألم أعلمك بذلك؟  
- دعني اكمل بابا..لها عاصمة ولها أيضا  
لغة .أليس كذلك؟

- صحيح، ولكن من أين تعلمت هذا؟ من المدرسة ام من زملائك؟

- لا... لقد تعلمتها من التلفزيون... القناة السورية لها لغة والتركية لها لغة . حتى انني أصبحت افهم بعض كلمات اللغة التركية .

- نعم صدقت ...كل دولة لها لغة و أضف الى معلوماتك يا عزيزي اللغة الإنكليزية و... اللغة الهندية ...اللغة الألمانية ... ثلاث لغات ...كفى الآن وغداً لغات أخرى.

فاجأني بحديث اخر:

صديقي في المدرسة لا يعرف مثلي لغتين ، فقط يتكلم لغة واحدة في البيت والمدرسة .أما أنا فلي في البيت لغة وفي المدرسة لغة،أنا اشطر منه... أليس كذلك...؟

- أنت ولد شاطر وذكي!؟

توقف برهة ، وضع سبابته في فمه ، أدركت بأنه يريد أن ييوح بشيء اخر تتحنح ثم قال:

- بابا... لغة بيتنا ما هي عاصمتها؟

أدهشني سؤاله أحسست بقشعريرة من رأسي الى أخمص قدمي ، حاولت ان اخرج نفسي من هذا المأزق الذي لم احسب له يوماً بأنه سيسألني ولا ان اقف عاجزاً أمام سؤاله.

- عاصمة لغتنا ... هي ... لا... ابدأ يا بني ، لها  
عواصم عديدة لان مدنها كثيرة وكبيرة جداً  
... اربيل... ديار بكر... مهاباد... هذه كلها عواصم.

## المشهد

جلسَ على مائدة العشاء، لم ينتظر زوجته، خرقَ النظام  
والعادة، تلقف أول صحن وضعته أمامه، التهمه وهي  
ما زالت تقدم الطعام، استغربت لشهيته ونفسيته  
المنسرحة.. يبدن، يشارك التلفاز في الغناء تارةً ويلتفتُ  
إليها تارةً أخرى... يغير القنوات من حين لآخر.. سايرته،  
شاركت فرحته...

وضعت الطعام بأصابعها الرقيقة في فمه الكبير، كان طويل القامة، عريض المنكبين، رأس فاحم كبير شاربان كثان يغطيان فمه وعينان كئيبتان قبل هذه اللحظة، أما الآن فقد عادت العينان إلى ألقهما وبريقهما، حادثان وجريئتان.

أما هي فشقراء ناعمة، دافئة يخال للمرء بأنها ملاك طاهر من العفة والطهارة ولكنها تتجرع الحزن والحرمان بسبب وضعها النفسي والبيئة الشرقية والأعراف التي لا ترحم. /يسقون زرعاً لا يثمر، الأولاد زينة الحياة والدنيا./ لدى سماعها هذه الجمل، تتمنى أن تسكن مجرة بعيدة مع زوجها وتبتعد عن الهمس والغمز.

كانت اللقمة في فمه حين لاحظ شرودها، تأمل وجهها القمري وبحركة عفوية ترك كرسيه واقترب منها وقال:

- سعادتي لا توصف أمام محراب جمالك، كيف كنت سأعيش دونك؟ اخترتك ونعم الاختيار، يقولون: إذا غضب الله من إنسان بعث له زوجة تُنغص له حياته، أحمدُ الله حيث أنعمَ عليّ بأجمل وأحسن زوجة خلقاً على وجه الخليقة.

تسألين ذاتك ما به الليلة .. أليس كذلك ؟ لماذا هذه الغبطة ..؟ ما المناسبة؟ أسئلة كثيرة تجول في ذهنك حسناً ألا تُريدين لزوجك الحبيب أن يكون سعيداً ؟

- أو مأت رأسها بالموافقة .

- ا بتسم وقال : لقد ارتحت اليوم وفككتُ العقدة التي كانت على جيبيني/مثلما تقولين /؟

- وبدهشة لا تصدق -نطقت ،ماذا تقول ...؟ هل كانت . . . - وقبل أن تكمل حديثها - قاطعها .

- المعالجة تمت بنجاح...

ارتمت في حضنه ، مسدً شعرها المسترسل وهمسَ في أذنها : أخبرني الدكتور بأن النتائج كانت مذهلة .. إنها إيجابية مائة في المائة ..ولهذا أنا سعيد ..مبسووووط؟

وارتفع صوته - أراد أن يسمع الأرض والسماء ، النبات والأحياء ، العالم جميعاً يجب أن يسمعوا ويعلموا بأننا أصحاء قادرين على الإنجاب ..

- قفزت من حضنه ووضعت يدها على فمه وقالت بعفوية :ستقضحنا يا مجنون؟! رفع يديها بحنينة وقبلهما :كي لا أُجَن،أريد منك بهذه المناسبة ان نحتفل في أي مكان تختارين، لنقضي أجمل ليلة عمر لننسى الماضي منذ اللحظة،ولنعش أيامنا بكل جزئياتها.

- لا احب الخروج...- و استأنفت - خمس سنوات معقول؟ لا أكاد أصدق يا الله كم سأكون سعيدة !

- سعيدة على الناشف لا يكفي ، يجب أن نحتفل بأنه أمر؟ ومن تخالف أمر زوجها سيكون مصيرها نار جهنم.  
- حسناً لنحتفل في البيت .

ذهبت الى غرفتها... اتجهت نحو الخزانة ، ارتدت أحلى قميص نوم كان قد أهداها في عيد زواجهما ، فتحت در وج الأكسسوارات والعطور... تعطرت وتجملت كعروس في ليل زفافها. بعد لحظات..ولجت الباب بهدوء لتفاجئه ولكنها صدمت بسكوته وصمته وعدم انتباهه لحضورها . لم يستنشق عبق عطرها ، كانت ملامحه متغيرة ، عيناه ثابتتان باتجاه التلفاز ، وضعيته في الجلوس تدل على عودة العقدة إلى جبينه ثانية.

دنت منه وهي مرتجة،خاطبته:ما بك؟ هل مازحتني واختبرت شعوري؟ لا عليك، لا تحزن أنا راضية بحكم الله وقدره...

كان يحدق في التلفاز، الدموع أخذت مجراها على خده ، والقلب يقطر دماً ، ودون أن يلتفت إليها خرج من حنجرته صوت كئيب لم تسمعه قط.

انظري..انظري ، إنه مشهد حي..إنه حقيقي!.. هل رأيت منظراً أبشع وأمر من هذا المنظر؟ هل رأيت ظلماً أبشع وأقسى من هذا الظلم .

- تكاثف الغيوم الانفصال ولمعت صاعقة الغضب  
وضرب بكلتا يديه على الطاولة حيث تطايرت الصحون  
والكؤوس وارتطمت بقاع الغرفة، لم يشعر بألم واستأنف  
غاضباً : انظري الى إخواننا ماذا يفعلون بنا.

عيونٌ معصوبة، أعمدة مربوطة بها كتل آدمية ، أياد  
مشدودة إلى الخلف،... الجنود على مقربة أمتار جمهور  
مفروع ، أسرى مكفهر و الوجوه، ينظرون إلى المشهد  
برعب جهنمي، هُددوا بالمثل أن ارتكبوا شيئاً من هذا  
القبيل .

الجنود متأهبون، العيون في الحدقات، الأصابع على  
الزناد، الأذان صاغية بانتظار الأوامر.

دوت طلقة الإنذار وبدأ وابل من الرصاص ينهمر  
ليستقر في أجساد الكتل الآدمية، و نزلت الدماء لتسقي  
الأرض ، لتثمر.

بعد قليل\_ أخرج الأمر اللئيم مسدسه ومرّ على الكتل  
البشرية ليفرغ ما في مسدسه من الطلقات احتفاءً بنشوة  
النصر، ثم كرر العملية جنوده الأوباش بالتناوب  
ليفرغوا الطلقات في رؤوس وأحشاء الكتل .

أحس بأوصاله ترتعد واجتاحه بحر غضبٍ هائج  
، يريد أن يغرق العالم بأمواجه و زار: أين الضمير العالم  
؟ أين الإنسانية ؟

- قالت بحسرة : وما جريمتهم...؟.

- قال : إن الله خلق شعوباً وقبائل ليتعارفوا ، وهؤلاء  
شعب لهم حق الحياة مثل غيرهم... وها هم اخوتنا في  
الدين يتعارفون علينا بمسدساتهم وبنادقهم، اللهم لا  
حول ولا قوة... اللهم لا حول ولا قوة.

على ضفاف الخابور

المقطع الأول :

شباب يافع كغيره من شباب جيله ، يحلم بمستقبل  
وفتاة جميلة تزين له حياته ، وتشاركه العمر – هذه هي  
سنة الحياة - ويشاء القدر ان يلتقي بذاك الجمال الحالم  
وذاك الشعر الذهبي وتلك العينين الزرقاوين من بنات  
قومه...

وكم كانت فرحته وسعاده حين استجابت له  
العيون بالموافقة... لغة لا يفهمها إلا هو وكما يقال: نظرة  
، فابتسامه، فكلمة، فموعد، فلقاء... وتم اللقاء.  
واجتمعت الأحاسيس التواقفة لتشكل روحاً في  
جسدين.

#### المقطع الثاني:

أصبحت سيرتهما ((على كل لسان)) وذاع صيت  
حبهما في المنطقة كلها... إنها أجمل و أروع قصة حب  
عذري سمعها جيلنا الحالي...  
عند اللقاء ، يخرج قلبه من صدره ليستقبلها شوقاً  
وهياماً ، يرغب بضمها بين ذراعيه ليرشف من رحيق  
شفثتها ... ولكن إحساسه المرهف وشفافيته يمنعانه من  
القيام أو حتى التلميح بذلك حرصاً على مشاعرهما  
ولمكانتها السامية في قلبه.

#### المقطع الثالث:

يلمان مثل غيرهما ببناء مستقبلهما وتكوين بيت  
أسري جميل، هادئ مبني على أساس متين تسوره هالة  
من الحب والتفاهم ويرسمان على ورق أبيض مثل

وبدأ الحساد والعذال بزرع الأشواك في طريقيهما ، فتن  
..أخبار ملفقة..كذب..حاولوا التفرقة بثتى الوسائل ، إلا  
ان محاولاتهم ذهبت سدى ولم تلق النجاح حيث تغلب  
العاشقان على المكاييد والافتراءات بحكمة.

#### المقطع الرابع:

دنا موعد امتحان..البكالوريا الفرع العلمي-  
لكليهما- ... وذهب الاثنان إلى المحافظة لتقديم  
الامتحان لعدم وجود مركز امتحان في بلديهما.....،  
حيث استأجر الحبيب غرفة متواضعة صاحبتها امرأة  
عجوز ، تجاوزت السبعين وتعيش على إيجار هذه  
الغرفة.  
ام هي ،فاستأجرت مع رفيقتها،غرفة قريبة من  
المدرسة.

#### المقطع الخامس :

لدى خروجهما من قاعة الامتحان ، كانا ينتظران  
بعضهما ويتأكدان من تقديم فحوصهما ويحثان على

- ما بك...؟ بماذا تفكر...؟ في النتائج... انا واثقة تماماً من نجاحنا في الامتحان التفت إليها وقال:
- والامتحان الثاني؟! امتحان قلبك ما هو نتيجته؟ هل سيكون مثل هذه الدوائر كلما ابتعدت عن المركز تزول؟
- ماذا تقصد...؟
- حبنا عنيف وقوي ، تحدينا الجميع ومع ذلك أخاف .. أخاف ان يزول مثل نهاية هذه الدائرة.
- وقتها ، سيكون زوا لي وفنائي أيضا .
- لا سمح الله يا حبيبتني... (وامسك بيدها) فأحست بـدفع يسري في عروقها ليتوزع على جسمها... وهمست في اذنه .
- الى الدراسة يا أستاذ...

## المقطع السادس :

ذات يوم دخلت العجوز إليه وقالت:  
يا ولدي من خلال معرفتي القصيرة بك ومن  
خلال هواتفها التي لا تنقطع، تسألك لحظة لحظة هذه  
الفتاة جعلتني أحبها دون رؤيتها ، يبدو أنها تحبك بكل  
جوارحها ، ...تعشقتك..لم أر في حياتي قط مثل هذا  
الهيام والحب، صحيح انني سمعت بـ((مم وزين )) و بـ  
((ليلي والمجنون)) و لكنكما أضفتما اسمين آخرين إلى  
قائمة العشاق، أتمنى لكما من أعماق قلبي بل أتضرع  
إلى الله ان يوفقكما وأن احضر حفلة زفافكما فيما لو  
كتب لي ذلك.

## المقطع السابع :

يا خابور... انطق بما شاهدته..يا شوارع الحسكة ..يا  
حدائقها...يا جذوع الشجر التي كتب عليها اسميهما ،  
أو حرفين منهما ورسم قلب أصابه سهم... يا مفكرة  
الجيب التي مازال يحتفظ بها اقلبي صفحات تلك الأيام ،  
أيام الامتحان يوماً وراء يوم واقراءي كتابة همساتهما  
والمكالمات الهاتفية...ابتهالاتهما الى الله سبحانه وتعالى  
للتوفيق والنجاح لهما.

## المقطع الثامن :

توالت الأيام... اقترب يوم إعلان النتائج ، تسارع خفقان قلوب الطلاب ومن بينهما الحبيبان ولسوء حظه لم يكن في البلد حينها ، فتسرع مع زوج أختها لمعرفة النتيجة ، حيث تندفع وسط حشد كبير من الناس متلهفة لقراءة الأسماء.

تلحظها احدى الطالبات ، فتتجه إليها ، تبشرها بالنجاح ومجموع علاماتها ، لكنها لا تبالي بنتيجتها وتقول : ابحث عن اسم آخر...

فردت الطالبة : مبروك مرة ثانية ، واقتربت من إذنها وهمست : حبيب القلب ناجح ماذا تريدان بعد؟؟  
يا الله... قدماها ترقصان فرحاً... أهداها الله سبحانه تعالى جناحين لتطير بهما ، سعادة ما بعدها سعادة.. لقد حقق لها ما أرادت واستجاب لدعائها.

## المقطع التاسع :

تركت قريبتها في وسط الزحمة وهرعت باتجاه بيت لأول مرة في حياتها ستطرق بابه ، دون وجل أو وجل ... وتطرق الباب:  
- يخرج الأب منادياً: من بالباب...تسمع صوته فيذكرها بصوت حبيبها..بنيراته ويفتح الباب، يفاجئ الأب بوجودها، يعرفها ويعلم بحكايتها مع ولده..

- نعم يا بنتي ، ما بك تفضلي... عسى ان يكون خيراً ؟
  - خير عمي خير... فقد جئت ؟
  - تكلمي يا بنتي، لم أعد احتمل اكثر من ذلك؟!!
  - جئت أبشركم.. لقد نجحنا نجحنا نحن الاثنين.
- فتطرق كلماتها تلافيف مخه ، يخرس اللسان من  
شدة المفاجأة ، يتوقف العقل ويبدأ العاطفة و اللاشعور  
للتعبير عن فرحته...  
يخرج المسدس الذي كان يحمله، يقدم الطلقة الى  
الأمام، ولم يعد يسمع سوى صوت الطلقات ووميضها  
من حين الى آخر... وبعد لحظات ساد الصمت على الجو  
المظلم..

#### المقطع العاشر :

يهول الجيران والناس ، يحتشدون أمام الدار لدى  
سماح الطلقات و إذا بهم يرون الفتاة ملقاة على الأرض  
على مقربة من الباب... غارقة في الدم...  
يذهل الجميع ، لدى مشاهدتهم ذلك المنظر الفظيع  
، كانت يدها مغموسة بالدم وجملة مكتوبة إلى جوارها  
( أحبك يا... ) وفي الحرف الخامس والأخير من اسمه  
كانت السبابة متببسة ومستقيمة.

## التهدية الأخيرة مع الفجر

قام ذات صباح كعادته دون منبه لاداء فريضة  
صلاة الصبح ، استغفر ربه ثم تشهد وهو يتشاءب، لا  
يرغب بمغادرة الفراش، جسمه ثقيل وكأن عظامه  
متكسرة لقد أمضى يوماً شاقاً في عمله وهو رجل كبير،  
مسن ، رجليه غير قادرتين على حمل جسده ، قسامات  
وجهه وتجاعيدها تدل على تعب وشقاء هذا الرجل  
طوال حياته.

- فرك عينيه ، ..تشاءب ثانية ولكن هذه المرة لفترة طويلة حيث خرجت معها تنهيدة مرهقة في نهايتها ..آخ..آخ .

استغفر بالله ..نظر إلى زوجته وقد تكورت بالحاف ..نهض يفتش عن ثيابه المكومة على الأرض ، وفي إحدى زوايا الغرفة ارتدى ملابسه تحت ضوء خافت من النواصة كي لا يزعج أولاده .

اغلق الباب وراءه بهدوء واتجه نحو الجامع القريب من بيته ليلتحق بصلاة الجماعة ( فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) صدق الله العظيم.

كان في المراحل الأخيرة من الصلاة ..التحيات ..المباركات ..الـ ..فجأة تذكر عربته التي يعمل عليها ..استعاذ بالله ..اكمل الآية والتفت يمينه ويسرة أنهى الصلاة ..أسرع نحو الباب ليصل الى حدائه .

انتبه المصلون الى حالته غير الطبيعية،لانه بالعادة يبقى آخر من يخرج..لماذا هذه المرة..؟ الله يعلم ما في الصدور .

انتعل حذاءه ، حاول الاسراع ، رغم مشيته البطيئة ، طالت المسافة امامه، تكلم مع نفسه ... اترى كانت موجودة أم لا...! اني لم انتبه ...عندما اصل الى الشارع سيتبين لي كل شيء...و اخيراً ها قد وصلت

اقترب الشارع، بضعة أمتار...خطوتان..وليتأكد  
من العربية صدق حدسه حين وصل . وضع يده على  
جبينه ليمنع انعكاس ضوء الكهرياء الباهر على  
عينيه... نظر الى مكانها...

يا الهي...! إنها غير موجودة...أسرع بما فيه من  
عزم، وقف في مكانها تماماً، وضع يده على  
خاصرته... وقف للحظات... ثم اتجه نحو الشارع  
الثاني.

- ر بما أحد الأولاد أخذها وتركها قريبة من هنا -  
تمتم مع ذاته -... ليست هنا لانتقل الى الشارع...وهكذا  
انتقل من شارع الى آخر ولم يجد لها أثرا حتى أرهق  
من التعب .

رجع الى البيت خائباً...

فتح الباب بغضب،استيقظت زوجته مذعورة  
مندهشة لتصرفه اشعل الضوء، بدأ بالسباب والشائم.  
- ماذا حصل...لم هذا السباب؟(قالت زوجته).

-اختفت..اختفت العربية...مصدر رزقنا ورزق هذه  
الأشلاء ( مشيراً بيده الى أولاده النائمين الصغار ) ...  
انهضي من مكانك يا لبرودة أعصابك هه...كأن عربية  
الجيران قد اختفت.

- ردت (بعد ان عرفت سبب غضبه):لعل من احتاجها  
لعمل ضروري أخذها دون ان يوقظنا من النوم...نم  
وارتح.

- نم وارتح (قالها بسخرية وهو يقلد صوتها وحركة  
فمها).  
- كيف سيأتيني النوم يا خانم وأنا اشعر بفقدائها... آه لو  
أرى الذي أخذها...  
- سألعن أباه... سأخذ منه أجرة مضاعفة... لا.. لا دون  
أجرة المهم ان يرجعها هذا يكفي.  
- ابدأ سأسلمه للشرطة... انه سارق وليس بذئ حاجة  
...المحترمون يستأذنون ، لا يأخذونها دون علمنا  
- كان يغفل حيناً ثم يستيقظ ، ينهض وينظر من خلال  
النافذة ، يتخيلها واقفة أمام الباب .. يتجه نحو الباب ،  
يفتحه بلهفة ولكن ...حتى الخيال اختفى ، .. لا يرى شيئاً  
امام الباب...يعود الى غرفته متألماً متحسراً وكأن حفنة  
من ملح قد نثرت على جرحه، بقي على هذه الحالة حتى  
وضح النهار وأشرقت الشمس ، أحضرت زوجته سفرة  
الفضة ووضعها امامه، لكنه احس بمعدته تكاد تخرج  
من فمه وقال بصوت كئيب والحزن باد على سحنته :  
العربة لم ترجع يا امرأة... أنها سرقت بالتأكيد خذها من  
أمامي لا اشتهي.  
تناقل بنهوضه، حمل نفسه وخرج الى السوق، يفتش  
عنها بين العربات.. في الازقة في الساحات في الزوايا  
الميتة .. في الخرائب لعله يجدها، يسأل من يرى في  
طريقه... ولكن دون جدوى.. شعر بنار جهنم تصعد إلى  
نافوخه ألجم لسانه خارت قواه...رجع الى البيت

زاره الناس، أصدقاء و أقرباء ، فلم يفلحوا في  
إقناعه، كان دائماً يفكر بها شارد الذهن كرجل عاشق  
تلظى بنار الفراق، يحن إليها لا يبالي بالزوار... انه فقد  
قلبه وعقله منذ فقده العربية .  
أجل لقد كانت كل شيء بالنسبة له ودونها فهو لاشيء  
شحب وجهه وهزل جسده استدعوا الأطباء ، شكّلوا  
لجاناً لدراسة حالته وصفوا له أدوية ولكن دون فائدة.  
جلس مع طبيب نفسي، جلسات عديدة وبعدها  
اقترح بجلب عربية تشبه عربته.  
- بشروه برجوعها...  
- قفز من فراشه واتجه صوبها ( ليضمها ويقبل أوتادها  
ليشم رائحة عرقه وتعبه ... وحين رآها تمحصها . دار  
حولها ..لمس دواليها..ثم ابتعد وصاح:  
اريد عربتي.. شريكتي.. هذه ليست لي يا  
أوغاد..خذوها من هنا..سأحرقها أكسر ها...  
قال احد الحاضرين: ارحموا هذا المسكين ، ارفوا  
بحاله، إنه مريض يكاد يفقد صوابه اجلبوا له  
عربته... فهل ابتلعتها الارض... فتشوا في كل الأماكن

يا اهالي البلدة المحترمون  
يا أصحاب النخوة والشهامة.. لقد فقدت عربية منذ  
مدة فمن رآها أو لديه معلومات عنها فله مكافأة ثمينة. أن  
صاحبها يكاد يموت من أجلها.. ارحموا هذا المسكين  
(وأجركم على الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.  
مرت أيام.. وأسابيع، ولم ترجع العربية، نسي الناس  
حكاية العربية وصاحبها.. لكنه لم ينسها إذ ظل يفكر بها  
على الدوام، يحلم برجوعها ويقول:  
لا بد إنك في يوم من الأيام ستلتقي بعزيرتك،  
بشريكة حياتك، بحاملة همومك وأحمالك التي تنقلها من  
مكان إلى آخر... سترجع إليك.. ستدفعها وتدور بها من  
شارع إلى شارع ومن حارة إلى حارة وتمزح مع  
الأطفال، تحرف أسماءهم بقصد أو دون  
قصد.. فتنادي.. ها أنديراغاندي ماذا تفعلين.. اصعدي  
العربية.. واحذري ان تجرحي يديك.. امري لله لقد  
اعتدت على ذلك وانت يا أسمر يا نلسن ما نديلا أيها  
الشقي اركب مع اختك ولا تخف، غداً عندما تكبر  
ستصبح (بيشمه ركه).  
ذات صباح وعلى إيقاع صوت المؤذن نهضت  
زوجته ونهرته في خاصرته، قم إلى الصلاة.. لقد تأخرت

نهرته ثانية... لم يرد رفعت اللحاف عن وجهه...  
صرخت وبصرختها استيقظ الاولاد مرعوبين، هرعوا  
باتجاه فراش والدهم المستلقي بلا حراك.  
انكبت على صدره أرادت ان تسمع دقات قلبه رفعت يده  
الباردة مسحت بها وجهها حتى تبللت بالدموع، فلم  
تصدق إنه قد مات، ذلك لأن عينيه كانتا مفتوحتين و  
كأنهما تنظران لصورة عربة في البعيد.

## المدير

- افتح قبضتك جيداً..مد يدك..يا غبي..أَسْرِع وإلا  
سأرفعك فلقمة أمام التلاميذ جميعاً..لا تحاول  
سحبها..أبسطها...إياك ثم إياك أيها الشقي..ألم أحذركم..؟  
ألم أجمعكم في ساحة الاجتماع وحذرتكم من الصعود

أنت... أنت يا (مفعوص) تخالف أوامري  
...قراري...قرار مدير المدرسة.  
- توبة... توبة...أستاذ لن أفعها...  
- مازلت في الصف الرابع، مثل الصوص، خرجت للتو  
من البيضة و تخالف الأوامر.. فكيف لو  
كبرت... آ...أفتح..سألقنك درساً وسأجعل منك عبرة لمن  
يعتبر... من علمك بذلك..أ...فكرة الصعود ليست  
فكرتك؟ إنها مدبرة... مؤامرة.. مؤامرة على من... علي  
أنا آ... حسناً... سأكتب تقريراً مفصلاً وارفعه إلى  
الجهات المختصة ( ومد يده الى ذقنه) وقال: (ولك ما  
يكون أسمى أبو جاسم إذا ما خليت اللي معلمينك يعضوا  
اصابعهم من الندم). هذه مؤامرة..رائحتها فائحة..مكيدة  
نصبها اعدائي لي لوقوعي في هذه المصيدة..لا..لا..لن  
يحلّموا ابدأ... قل لي من علمك... اعترف.. من  
وراءك.. أبهذه سيوقعونني لأتنازل لهم عن الكرسي  
(مؤشر بيده الى الكرسي دوار مريح وراء طاولة  
فخمة).

ردّ التلميذ ببراءة : ولكن يا أستاذ ما دخلي انا  
بالموضوع...صعدت السطح لجلب طائرتي  
الورقية...ولم أعلم بوجودك والآنسة معاً...فوق

-آه يا شقي وتقول لا اعلم ..تتغابى..؟ وكيف توجهت صوبنا مباشرةً ..افتح يدك ..سأشفي غليلي اليوم...كيف انتبهت الى وجهي مباشرةً...أ...تتفرج على أفلام...أ...تعلمت النقطة الحمراء...أ...ولك لما كنا مثلك...مانسترجي نرفع رؤوسنا امام مدرسينا...كنا ننزلها للارض احتراماً لهم.. أما انت يا حشرة ياللي مالك محل بين الاعراب..تتقدم باتجاهنا و عيونك مثل عيون البوم...مباشرة...أستاذ في حمرة على وجهك وفمك... ولك من وين تعلمت هالشئ،الحمرة تعلمتموها ام الدرس فمثل الاطرش بالزفة...يا كسالى؟

- كلا يا أستاذ والله عندما صعدت السطح..حسبت بان كومة من الثياب وضعها الفراش (الأذن) ولذلك تقدمت نحوها-اقصدنحوكم – حسبت بان طيارتي قريبة منها- ولم اعرف بأنكما (متكومان).

- اسكت أيها النذل..يا عديم التربية...اذا لفظت كلمة اخرى سأفصلك من المدرسة..قال متكومان قال..حذار لو تفوهت بهذه الكلمة..سأزجكم في السجن أنت ووالدك أقول بأنني رأيت منشوراً سياسياً في جيبه يخص والده وبأنك اعترفت بذلك.

- لكن..لم احمل في جيبي شيء..

- هذا شغلي انا؟.

- ثم... بنطلوني وصدريتي بلا جيوب ؟ عندها قال المدير:

- للمرة الاخيرة احذرك.. لو تفوهت بكلمة لاحد... حتى التلاميذ.. افهمت.. سأبلغ الشرطة ليمسكوا والدك ، يزجونه في السجن.. (الاتحب أباك).. هل سمعت.. السجن.. انقلع ولا ترني وجهك ثانية يا عديم التربية.

(وقبل ان يخرج من الباب) استوقفه قائلاً:

- اسمع.. غداً عليك الحضور مع والدك.. ولي امرك افهمت ؟ لا تأتي إلا وهو معك؟

- ولكن يا أستاذ... والدي .. قاطعة قائلاً:

ماذا.. بوالدك.. هل توفي في هذه اللحظة... أكذب.. أكذب.. لقد مر علي وعلى شاكلتك العديد لن اقبل أي عذر... مريض... كسيح... مشلول... مافي؟

- ولكن والدي...

- ما به...؟

- إنه في السجن

(فانبسط فم المدير بابتسامة عريضة) وقال:

ها... عظيم... عائلة اونطجية... بلا تربية... بلا أخلاق... أصحاب سوابق.

## ليتي كنتُ السابع

انطلقت الحافلة المليئة بالركاب، باتجاه المدينة البعيد والتي تستغرق رحلتها الاعتيادية، حسب خط سيرها المقرر من قبل إدارة المرور/خمسُ ساعات. ولذلك حاول الأستاذ مصطفى مدرس مادة الفنون وأخوه، قطع تذكُر أمامية، قريبة من جهاز الفيديو، ليتسلوا بمشاهدة الأفلام لحين وصولهما إلى المدينة.

أخرج سيكارةً من علته وضعها في فمه، وهو يفتش  
عن ولاعته المهداة إليه في إحدى المناسبات ، وقبل أن  
يشعل السيكارة، كان مرافق الحافلة واقفاً على رأسه.  
- لو سمحت، الشركة تمنع التدخين، يرجى التقيد  
والالتزام بذلك.

أبتسم مصطفى وقال: تكرم... أهلاً وسهلاً بك  
وبالشركة، طالما ممنوع للكل، ولكن بما أنك منعتني من  
التدخين، أليس من حقي أيضاً أن أطلب (كاسيت) لفيلم  
هندي يكون على مزاجك .

- بكل سرور(قالها المرافق ذو الشكل الجميل والأنيق  
في ملبسه).لديّ فيلم هندي باسم مرد وسأضعه بعد  
الضيافة مباشرةً.

كانت الحافلة تنطلق كالسهم تخترق البوادي دون أن  
تعيقه صعود أو منحدر . وكان منظر قافلة من الشاحنات  
الكبيرة التي تنن تحت حملها ، تحاول جاهدة الإسراع  
دون فائدة . كسباق مجموعة من الشيوخ العجز مع  
لشباب رياضي نشيط، فقد بقيت القافلة وراءها حتى فقد  
أمل اللحاق بها .

الأشجار الحراجية وأعمدة الكهرباء والهواتف  
تتراجع من جانبي الطريق. التفت انتباهه الى فلاح شاب  
بجانبه فتاة تحت ظل شجرة وارفة خرجت تنهيدة طويلة  
من صدره وغلب عليه الخيال كانا على مقربة من نهر

- ما بك... أحبك... أحبك أنت فقط .لأحد غيرك لها مكان  
في قلبي.  
- ولكن أخبروني... نعم أخبروني بأنك على علاقة مع  
فتاة أخرى - قالتها بحزن  
- أخبروك ..من ..؟ عمك الذي سحب علينا المسدس، أنه  
رياءً وافتراء. يريدون أن يبعدوك عني يريدون أن تذب  
زهرة حينا... أهواك أنت..أعشقك أنت .. دونك الدنيا  
بلا..  
-أعرف مشاعرك اتجاهي ومتأكدة منك يا حبيبي،ولكن  
كلماتهم عنك تضايقتني، عند سماعي بذلك يقشعر بدني  
أتألم !! أسف لأنني أخبرك عن مكونات قلبي .  
- هل تضايقت...؟  
- أبدأ... - ولكنني سببت لك الازعاج- قالها مازحاً:  
بمناسبة هذا الخبر المزعج والكاذب، ما عليك إلا  
مراضاتي ومراضاتي ليست سهلة كما تعلمين؟  
ضحكت وقالت: اغمض عينيك...وبعدها ستنتال ما  
تطلب.  
وأغمض عينيه وهو في نشوته العارمة.  
حاول فتح عينيه،أحس بضبابية الألوان وشعر  
بدوار في رأسه وكان كابوساً مرعباً زاره في المنام

أين... أنا..؟ أين الحافلة؟.. أخي.. أخي أين هو..؟ يا إلهي  
رأسي... تؤلمني..

اقتربت الممرضة، مسحت أثار الدم المتبقي على  
وجهه و عيونه وبعَدَتْ جفونهُ عن بعضها وزالت  
الأوساخ بالقطن المعقم وقالت:

هَوْنٌ عليك يا أخ... أنك رَجُلٌ... حمداً لله على سلامتكَ  
... كان حادثاً مؤسفاً ذهب ضحية اللامبالاة ستة أشخاص  
من جملتهم السائق و مرافقه، المساكين ماتوا قبل أن  
يصلوا الى المشفى ، أما الباقي فأغلبهم أصيب بكسور  
وجروح بسيطة، وأخوك بخير وهو في الغرفة رقم ( 17 )  
ولكن للأسف هو أيضاً مصاب في ساقه.

- أريد رؤيته... أرجوكم... بالله عليكم طمئنوني.  
- أطمئن ولا تخاف، صدقاً أنه بخير وقد يزورك بعد  
قليل، هو أيضاً قلقٌ عليك وأخبرناه بالحقيقة مثلما  
أخبرناك.

- أريد رؤيته ولو لدقيقة واحدة، خذوني  
إليه... أرجوكم... أتوسل اليكم... وأثناء ذلك سمع دقات  
على الباب-ودخل عليهم رجل- وقال:

- مرحباً يا أستاذ... يا فنان... مد يده للمصافحة .  
- يبدو أنه يعرفني / قالها في سره ./

- كانت يده اليمنى سليمة، أراد أن يمدها للضيف القادم إليه، وحين رفع بصره وتفحص ملامحه تجمّدت يميناه وتغير لون بشرته وقال بمرارة (يكاد لا يسمع): أنت .  
- نعم أنا...المساعد أبو الزند، ألم تقل بأنك تستطيع رسمي خلال خمس دقائق، ها أنذا أت إليك لقد رأيت أسمك في سجلات المشفى وسمعت بالحادثة، بالمناسبة أنا أعمل هنا كاتباً، فقد سُرحت من الوظيفة مثلك...ألا تريد أن تقي بوعدك، أم أنك نسيتني .  
- كيف لي أنسى ذلك اليوم، مداهمتكم لبيتي في ساعة متأخرة من الليل. استقبلكم وحفاوتكم...كيف أنسى كلماتك الرقيقة عندما قلت: سأنسبك حليب أمك...كيف أنسى ذلك السوط والخيزرانة والكبل الرباعي وغرفة التحقيق، ومعلمك كيف أنساه وأنتما الأثنان تتناوبان على تعذيبي نفسياً وجسدياً وذلك دولا ب قياس 14/600 عندما وضعتوني فيه .وهو يقول لك:  
ابن ال...مهياً حالو نفسياً.  
- كان يتذكر تلك اللحظات الأليمة كشريط سينمائي- وما زالت يده ممدودة كما هي، قال:  
لاتواخذني على ذلك، كنت مرغماً، ذلك كوني في(00000)لقد كانت وظيفتي آنئذ...  
- وظيفتك كانت إهانة الناس وتحطيم مشاعرهم وأحاسيسهم، وبصوت مخنوق\_ ماذا فعلت لكم...؟ شتان ما بين عملي وعملك... لقد حرمتني من وظيفتي كوني

وتدخلت الممرضة في تلك اللحظة وقالت :هدىء  
من روعك يا أخ .. الانزعاج مضر وسيء بالنسبة إليك  
وقد يجلب لك مضاعفات نحن بغنى عنها...  
-لا يا أختاه... لييتي كنت السابع ولم أر وجه هذا الرجل  
ثانية.  
تراجع إلى الوراء محاولاً إسناد ظهره إلى  
الوسادة، ونزلت يد أبو الزند إلى الأسفل واتجه نحو  
الباب بعد أن همست الممرضة في أذنه.

## جو كندا تسرق المعرض

باعتباري مدرساً لمادة الفنون ومولعاً بالألوان والزيوت ورائحة النفطالين فقد تطوعتُ بمحض إرادتي للإشراف على إقامة معارض مدرسية للطلاب والطالبات والمواهب الفنية تشجيعاً لهم حتى أن بعض طالبات الفنون النسوية تشتركن بهذا المعرض .  
نقيمها في صالات العرض أو في صالات المدارس الثانوية المخصصة لذلك .

هذه المرة ،الصالة كبيرة ، امتلأت فيها اللوحات الزيتية  
والمائية والرسوم الكاريكاتورية والجسسية والنحت  
والتحف الفنية .

في منتصف الصالة ،طاولة كرة المضرب (بينغ  
بونغ ) دون شبكة ،وضعت عليها أعمال مميزة من  
الجبس والنحت والأعمال اليدوية ... الخ .

كالعادة كنت جالسا مع زميل لي هو المسؤول عن  
القاعة ،وراء طاولة بجانب الباب لاستقبال الضيوف  
،حيث كنا على استعداد تام لشرح بعض اللوحات  
والإجابة عن أسئلتهم وملاحظاتهم .

كانت القاعة في الفترة الصباحية تعج بالحضور  
وبشكل خاص الطلاب والطالبات وحتى تلاميذ الابتدائي  
، أما فترة المساء فكانت قليلة الجلبة ومريحة وروادها  
يكاد يعدون على أصابع اليد.في هذا الوقت بالذات لفت  
انتباهنا قدوم فتاتين .

إحدهن تبدو عادية في ملامحها وشكلها، أما  
الأخرى فإنها تسحرك للوهلة الأولى ،تبدو أميرة ...ملكة  
... لا بل جوكندا بذاتها ... نعم جوكندا- استنطقتها بشكل  
عفوي - قامة رشيقة ، ساقان يذكرا نك بعارضات  
الأزياء الإيطاليات ، وجه قمرأء وأنف أقرنى ..شعر  
مصفف شعرة شعرة ،لأشك إنها بقيت ساعات حتى  
جعلت منه بهذا الشكل ...بنطال أبيض يكاد ينفثق عن  
لحمه البض ...رائحة البارفانات سبقت دخولها بمسافة

تحمل على كتفها البيض حقيبة صغيرة مزركشة  
بخطوط ذهبية ، تضاءلت المسافة بيننا شيئاً فشيئاً دَنَّتْ  
...أَلَقْتُ نظرة وسلمتُ بنأمة دون أن نلاحظ حركة شفيتها

...

- مرحباً ...  
- أهلاً...؟ أهلاً وسهلاً (وبحركة تلقائية) قلت :  
تفضلوا ... أما صديقي فقد كان مشدوهاً وقد فغر فاه  
ثم تتحنح وقال :  
- ما هذا يا أستاذ...؟! ...لكزته ... هُـس ... (عيب) ؟ ما  
عليك إلا التمتع بالنظر فقط (قلتها مازحاً) .  
استدار صوب آلة التسجيل ليضع كاسيت  
(مونا مور)) الحاملة ، ليحلم بذاك الجمال الرائع .  
أما أنا فأصبحت أجوب بناظري من فترة الى أخرى  
على الحضور ، حتى إذا طلب مني أحد التعليق أكون  
مستعداً للنداء .

بعد فترة وجيزة استوقفني ملمحها-أقصد الجو كندا-  
وهي ماثلة أمام أحد الأعمال، تتأمل لوحة صغيرة هي  
عبارة عن جذع شجرة رُسم عليها بطريقة الحرق)  
بحر وسفينة شراعية وسماء وشمس). أما صديقتها فكانت  
غير أبهة باللوحة

- بالرغم من وقوفها بجانبها ، يتراقص لاحظاها يمنة ويسرة حيث يتراءى للمشاهد بأنها جاءت تختار عريساً لا أن تشاهد معرضاً .
- في هذه اللحظة جاءتني طالبة تصطحب أختها الكبيرة لتطلب مني التعليق على بعض اللوحات فتوجهتُ معهما باللوحات المراد توضيحها .
- قالت الأخت: ما رأيك بألوان هذه اللوحة ؟
- هذه اللوحة ألوانها ضاربة الى الزرقة وفيها قوة الإضاءة والعممة أن هذا الفنان يصور الوجوه بإتقان وبساطة .
  - ( أشارت الى لوحة ثانية) وما رأيك بهذه ؟ .
  - إن تشكيل هذه اللوحة البسيطة في ذاته يعتبر ويدل على أن صاحبها من الفنانين الجيدين ويمكن اعتبار هذه اللوحة قمة في الرسم الذي يجمع ما بين سحر الإضاءة وقوة اللون الذي يوحى بالاهتمام .
- خطت بضع خطوات باتجاه لوحة أخرى وقالت : وهذه خاصة الوجوه، ما رأيك؟
- الوجوه في هذه اللوحة مألوفة والخيالات الظلية تطل على المدينة في خلفية اللوحة ، تتعرض لانتقاص جذري في سلم القيم ، إنها تُرشح النور في نهاية الظل وتبسط الظاهر .
  - شكراً أستاذ ...
  - ....

لدى اقترابي من الطاولة للجلوس ، تقدم شاب ليدون ملاحظاته في سجل الزيارات بعد التدوين ، شكرنا ثم صافحنا وغادر القاعة .  
بعد ذلك عدتُ ثانيةً لجهة جوكوندا وصديقتها أمام لوحة الحرق ولكنني لم  
المهمن وتبين لي فراغ علنا الجدار إذا اللوحة غير موجودة في مكانها، أنها فُقدت ...؟  
في هذا الجو المعرضي زارتي سحابةً كئيبةً أفلقتني ونغصت تفكيري واحترت بالأمر، سألت ذاتي :  
- هل أفتش جميع الحضور ؟  
- لا ... لا يجوز ذلك ، قد أتعرض لمشاكل أنا بغنى عنها .  
- ابتلع غضبك مثلما تبتلع لعابك .  
- بالله عليك ألا تشك في ( ؟ )  
- بصراحة تتجه شكوكي الى فتاة واحدة ، فلم أظلم البقية .  
- انظر ، كيف تنتقل كالحرباء من لوحة الى أخرى ... أنظر ؟  
- إذا سأنتظرها وأمرني الله ...  
أخيراً وبعد انتظار ممل هاهي وصديقتها تتجهان نحوي-نحو الباب- للخروج بعد نهاية الجولة ، استدركتها قبل الخروج قائلاً :

- أليس لك ملاحظة على المعرض يا أنستي ... هذا السجل (أشرت إليه) سيكون له الشرف أن تكتبي فيه بعض ملاحظتك .
- ابتسمت بخبث وقالت : بكل سرور .
- خاصة وأنتِ وقفتِ أمام أجمل لوحة حرق؟ فوجئتُ وردتْ بصوت متهدج : أيُّهَ لوحة ...؟
- لوحة (جذع الشجرة) البحر ... السفينة ... السماء... الشمس أنها رائعة أليس كذلك؟
- توردت وجنتاها وكاد الدم ينبجس منها وقالت : رأيتني إذاً ، ثم استدارت صوب صديقتها وابتسمت ثانية بدهاء وأردفت : بصراحة ... لوحة نادرة وجميلة . أعجبتُ بها جداً وقد جلبتها معي لاستأذن منكم لأخذها، وبغنج قالت : اعتبرها هدية أستأاااذ ...؟
- ردّ صديقي دون استئذان ليغطي على إجراجها: عليكِ أن تأخذي قطعة من قلوب البشر لا أن تأخذي قطعة شجر .
- تبدلت لهجتي حين تأكدتُ من الأمر بأنها فتاة ألعبان
- أرجعها الى مكانها وشكراً لزيارتك ...
- تدخل صديقي اللجوج ثانية وقد خُلبت عقله : اعتبرها هدية ... ولكن مني ... نعم مني أنا وحدي ...

ارتبكتُ ولم تسجل أيُّ كلمةً بمناسبة زيارتها ،  
التفتتُ إليه ... شكرته وابتسمتُ وخرجتُ مع صديقتها

## الخطيب

- وقف أمام المرأة ، أمسك بالمشط وبدأ يسرح شعره  
، ثم وضع قليلاً من الكولونيا بين كفيه وفركهما  
ومسحهما بلطف على وجهه الحليق ، مد يده الى ربطة  
عنقه ، شدّها ونادى قائلاً :
- هاتي الجاكيت معك ، جاهز وبانتظارك ، لقد حان  
موعدنا ...أسرعي ...؟
  - أصبحت جاهزة ... ثوانٍ فقط وما علينا إلا النزول  
الى السيارة ( الصوت أت من الغرفة الثانية )

بعد لحظات كانا في السيارة ... نظر الى ساعته  
والتفت إليها .  
- أغلقي الباب بإحكام ؟ ...  
وتحركت السيارة ،سلكت الطريق العام ،أثناء ذلك  
قالت له : ماذا سنفعل ...؟  
كان يجب أن يرافقنا هو أيضاً ، ففي مثل هذه الحالة  
يستوجب حضوره .  
- لا عليكِ ، سأتصرف بلباقة وكأنه حاضر ... لا تقلقي  
ولا تحتاري .  
(رفع صوت آلة التسجيل قليلاً )،ضغط على  
(دعسة ) البنزين حيث بدأ مؤشر السرعة بالزيادة ...  
بعد مرور نصف ساعة، توقفت السيارة أمام دار فسيحة  
'  
مسورة بأشجار السرو والهور وبعض أشجار الورود  
... باب كبير ، خاص لدخول السيارات والجرارات  
والآلات الزراعية ، وباب صغير عادي ،جميل ،  
ذو نقوش وتزيينات محاطة بقطع رخامية .  
- قال في سره : يبدو أنهم أثرياء جداً .  
- قالت في سرها : يبدو أنهم يعيشون أرغد عيش .  
قرعا الجرس ، بعد هنيهة اتجه نحوهم رجل كبير  
وسيم ذو هيبه ووقار ، ومدَّ  
يده للمصافحة ... أهلاً ... أهلاً وسهلاً بالضيوف ، أنا  
فلان الفلاني والد فلانة،

تفضلاً... من هنا ... أهلاً وسهلاً على الرحب والسعة

...

- تشرفنا ... نحن ...  
- أعلم بذلك ... لقد أخبروني وأنا بانتظاركم منذ  
لحظات ... تفضلاً من هنا .  
دخلا غرفة الضيوف ... جلسا علينا لأرائك (لم يروها  
إلا من خلال التلفزيون)

نظرا الى بعضهما ، استترقا النظر الى المحتويات  
الموجودة في الغرفة ... ياه ...! سجاد أعجمي ...!  
فازات ...! تراييزات مذهبة من النوع الفاخر ، ثريات  
...! تتلأأ في سماء الغرفة ، تحف في صدرها تذكرك  
بالسنين الغابرة .

- قالت : إذا وافقوا سنكون من المحظوظين في هذه  
الدنيا وسيكون الله تعالى قد لبي دعواتنا .  
- قال : لقد أنعم الله عليهم ، ألم تنتبهي الى الكراج ،  
فيه جميع أنواع الآلات .. جرارات ... سيارات  
...بيكابات آخر موديل ( أبو طاقه ) .

كان لعابهما يسيلان من كثرة الاندهاش والسرور ،  
خاصة وانهم لقيبا ترحيباً حاراً من كبير العائلة حيث قال  
لهم بأنه كان بانتظارهم ، أي أنهم موافقون مائة بالمائة .

- قالت : يا رب لا تسود وجهنا ...  
- قال : يا رب افتحها بوجهنا ...

دخل المحترم ومعه أفراد عائلته ، حيث رحبوا بهما  
أيما ترحيب ، وقدموا أفخر أنواع الضيافة وخاصة ذلك  
التفاح الأحمر الذي تزن الواحدة منه حوالي نصف كيلو  
غرام تقريباً ... وذلك العرموط المستوي ...  
بعد الضيافة ، ابتسم الرجل المحترم وقال : لم يبقَ لنا  
إلا أن نضيفكم فنجان القهوة ... أليس كذلك ؟  
كان يقصد التعرف على ابنتهم حسب الشرع لموافقة  
الطرفين ولخلوهما من الأعداء - هذا هو العرف والعادة  
- غَمَرَ المحترم لأحدهم ، ففهم منه الرسالة أو الشيفرة ،  
فذهب لابلاغ الابنة ، لتحضير القهوة وتقديمها لهم بعد  
لحظات كانت القهوة جاهزة ، أو بالأحرى جاهزة مسبقاً  
ولكنها بانتظار الإذن بالدخول .  
ها قد دخلت الابنة ، صينية القهوة ترتجف بين يديها  
، تتصبب عرقاً من شدة الخجل والفرح بأن واحد كانت  
تبلغ من العمر عقدها الثالث ، ذات بشرة حنطية ، طويلة  
القامة ، شعر أسود فاحم ، مسترسل ، وعينان صغيرتان  
كثقب الإبرة ، وأنف معقوف ...  
بعد أن قدمت القهوة ، جلست قرب أختها الصغرى  
والتي كادت بدورها ، أن تطير فرحاً ، أصبح الضيفان  
يسترقان النظر من حين إلى آخر ، لرؤيتها بشكل أفضل  
، حيث كانت تنظر إليها من أخصص قدميها إلى فروة  
شعرها . ثم أخذت رشفة من القهوة وقالت :

- فتيات اليوم يُصبغنَ شعرهن بالأشقر أو الأسود الفاحم ، لقد أصبحت موضة هذه الأيام ... أخ من الموضة ... كل يوم شكل .

- ردت أم الفتاة الحمد لله لقد وهبها أجمل شعر وهي ليست بحاجة الى صبغه أو ما شابه ذلك ، ثم أن عائلتنا ، أقصد عائلة أبي ، جميعهم بهذا اللون . وهي أخذت هذه الصفة الوراثية من خالها الكبير . خجلت الابنة فاستأذنت بالانصراف ولحقتها الأخت الصغرى . التقت الرجل المحترم الى ضيفه وقال :

- إيه، يا بني ... وأنت ماذا تعمل ؟ هل أنت موظف ؟ أم تاجر ؟ أم مزارع ؟ لا اعتقد بانك موظف ، لأن الراتب لا يساعدك لشراء سيارة ... أليس كذلك ..؟

- صحيح ... هذه سيارتي واعمل بالأجرة ، لي بيتان ورثتهما عن أبي الله يرحمه

- رحمه ورحم الناس جميعاً ، الإنسان الناجح يا بني يستطيع أن يحصل على لقمة العيش ولونيش الصخر ، ولكن اسمح لي ، حيث تبادل إلى ذهني سؤال فضولي ، هل أنت وحيد والديك ؟ لم لم يأت أحد معك ؟ أليس لك أهل ...؟ عم .. خال ... أخوة ...؟

- لماذا ...؟

- البركة فيك يا بني ... ولكن العادة تتطلب في مثل هذه الحالة ... وجهة ... رجال ... انها خطبة ...؟

- لكن الخطبة ليست رسمية الآن ... فقط جئنا لزيارتكم و رؤية .....  
قاطعها قائلاً : من ناحيتنا اطمئن .البنيت موافقة على جنابكم ، وبما أنها موافقة،فنحن موافقون .
- ولكن مثلما أخبرتكم ، جئنا فقط لزيارتكم ورؤية الفتاة وسنُخبر الخطيب بذلك ....  
اندهش الرجل المحترم وقال:  
أوه ...؟ يا إلهي إذاً ... أنت ... أنت لست الخطيب وهذه المرأة التي معك ليست والدتك ...؟  
ابتسم الضيف وقال : أنها زوجتي ... أم الخطيب  
...؟؟

## الوصفة

وأخيراً ... توجه السيد خسرو الى الطبيب المختص ،  
لمعالجة علته التي يشكو منها منذ فترة ، تألم كثيراً ،  
ذاق الأمرين ، حاول المداواة بحبوب ومسكنات فلم يجد  
نفعاً .

كان يتعقد و تشل حركته لدى سماعه ببعض  
الأمراض التي تصاب القدم والساق كالروماتيزم ،  
غرغرينا ، الدوالي ، النقرس ، داء الفيل ، داء باجت أو لا  
سمح الله ذاك المرض الخبيث (السرطان) .

علته كانت رجله اليمنى ، حيث كان يحس بنار تسري في عروقه بدلاً عن الدم ، من أسفل قدمه الى ركبته وأحياناً تصل إلى فخذة ، فعندما يرى أشخاصاً أو يراهم عندما يتصفح المجلات أو يشاهد التلفاز وهم برجل واحدة أو على عكاز ، أو مقعد على كرسي متحرك يُدار بواسطة سواعد ، يتراءى له صور وأخيلة شتى يرى نفسه فيهم ، يتخيل وضعه ويندب حظه ويرثي لحاله : مصيري حتماً سيكون مثل هؤلاء الناس يا احسرتي ....ياالشبابي الضائع في لحظة خاطفة ...كيف سأعيش..؟

ليس لي أحد ...؟ من سيساعدني ...؟  
يا رب ...! لا تدعني ألقى هذا الحتف .....؟ يا رب خذ أمانتك ....

تذكرَ يومَ دخلَ مطعماً فخماً لتناول وجبة طعام وكانت المرة الأولى في حياته (حيث اشتهاها عندما لاحظ على اللوحة المقدمة من المطعم .

طلَّبَ ... أكلَ ... أنتهى 000 حمد الله على نعمته واتجه إلى المغسلة ثم إلى المحاسب والذي يبدو عليه بأنه صاحب المطعم، حيث إلى جانبه امرأة جميلة ولكن الحزن بادعلى وجهها .

لدى دفع الفاتورة تبين له أن المحاسب يجلس على كرسي متحرك اقشعر بدنه وعكر عليه لذة أكله بعد رؤية هذا المشهد ، خرج من المطعم وهو يفكر بهذا

حساباته... ولكن..؟!.. ولكن هناك من يساعده ،  
يسانده... يحركه... كانت إلى جانبه لا تتركه أو  
تفارقه... يبدو أنه عزيز على قلبها...  
فياحسرتي... مَنْ..؟!... ياالله خُذْ أما نتك ولا تدعني  
كهذا، وبغته تبادر إلى ذهنه فكرة إمكان تطور الطب  
فرد على ذاته : بإمكاننا شراء رجل صناعية مثلما  
نشترى أي بضاعة.  
- آه... لو كان هناك زرغ رجل ، مثلما يزرعون الكلية أو  
القلب أو العين... سيكون الأمر بعد ذلك يسيراً . ولكن  
أين لي بمبلغ لشراء رجل ، سأعمل طوال عمري ولا  
أجمع ثمنه .... فَكَّرَ ملياً ثم وثب قائلاً :... الهجرة  
... الهجرة  
...؟ نعم الهجرة .. ما عليك إلا الذهاب إلى مكان فيه  
عمل و إجرة ممتازة (إذا كان الجبل لا يأتي إلى محمد  
فليذهب محمد إليه) فما رأيك بدولة أجنبية ؟  
- نعم .. سأذهب إلى دولة أجنبية .. زيارة و تجارة و  
عيون زرقاء كسما صافيه وجسد أبيض كالنديف  
- أجساد هم بيضاء انها لمشكلة ..؟  
- كيف سأزرع رجلاً بيضاء و الثانية من لون بشرتي  
السمراء ، سيكون منظري غير مُرضٍ ...  
- لا بأس ... ستغطيها بالبنتال ولن يلاحظها أحد.

- إذا خلعت البنطال أمام أحداً هن ...؟ راودته فكرة  
ثانيه وهي الذهاب إلى الهند... بلد كبير و قوميات كثيرة  
و ألوان حسب الطلب ، زد على ذلك إنهم يبيعون  
أعضاء هم بأرخص الاسعار و سأشتري أطول رجل  
بقروش زهيدة 0

وقف على باب العيادة - بعد تردد - رمح في  
الصالون .... لا أحد سوى الممرضة الجالسة خلف  
طاولة خشبية تتصفح مجلة فنية .

- مرحباً ... هل الدكتور موجود ؟  
- تفضل استرح (ردت الممرضة ) ، ثم انهمرت عليه با  
لاسئلة هل هذه أول زيارة لك ؟ من أي مكان ... البلدة  
..القرية ... الحارة ... الاسم ... العمر...المعاينة لو سمحت

..  
- رد على جميع الأسئلة ، ثم مد يده واخرج النقود  
.... تفضلي ؟!

بعد برهة رجعت الممرضة الى طاولتها وهي تُداعب  
خصلات شعرها

- تفضل ... الدكتور بانتظارك ياسيد ...؟  
طرق الباب ثم دخل .... مرحباً...أنا ... أقصد علتي  
.... مشكلتي .....

- اقترب يا أخ خسرو .... تفضل اجلس .... ؟  
بالمناسبة اسم ممرضتي شيرين ... استرح و قل لي  
ماذا بك بالتفصيل ؟ ... مم تشكو ..؟

وبدا يشرح له أوجاعه وآلامه ، نعم يا حضرة  
الدكتور...ثلاثة أشهر وأنا على هذه الحالة أحس بالألم  
شديد (وضع يده على منطقة الألم) ... هذه المنطقة كلها  
من باطن القدم إلى الركبة ... أي والله دكتور؟؟  
- حسناً ، لاتخف إنشاء الله ستشفى و سترجع مثل الأول  
بل أقوى ...تمدد على السرير لو سمحت ..؟ نعم ...  
أيوه هكذا .... واكشف عن ساقيك ..لدى سماعه هذه  
الجملة قال في سره : لو زرعت رجلاً بيضاء لانتابت  
الدكتور ضحكة هستيرية ، الحمد لله لكوني لم أفعل ، مد  
يده إلى عرى البنطال وبدأ بفكها – كي ينزل بنطاله شيئاً  
فشيئاً - .

وضع الدكتور يده على الساق اليمنى و قال:

- هل تتألم ..؟

- لا

- هكذا..

- لا..

ثم وصل إلى الركبة .... هل تتألم ؟

- نعم .... لا .... ليس كثيراً .

- إذاً امش الآن على كعب قدمك ... هل تتألم؟

- لا..

- حسناً هل خدمت الجيش ..؟

- نعم...ولكن ما دخل الجيش في مرضي .../

- هل تتذكر التمرين السادس ..؟

- لقد نسيت التمارين ، ولم أعد أتذكر شيئاً سوى هذا الألم .

- لا بأس .... أمش كالبطة ؟

- .....

- حسناً ، ارتدِ ثيابك ..

ارتدى ثيابه بسرعة ، ولم يزرر قميصه جيداً واتجه إلى طاولة الدكتور .

- نعم ... دكتور ... إنشاء الله خير ، هل عرفت العلة ... هل احتاج إلى عملية؟ ... كان الدكتور مشغولاً بكتابة الوصفة ، أما هو فقد تلبّد أجواءه بالحيرة والقلق ( قال في سره ) - إذا طلب إجراء عملية فورية ماذا أفعل وكيف سأتصرف ؟ ليس معي مبلغ كاف ؟ سأقول له بأنني غير مستعد اليوم ، وعندما أصل إلى البيت سأفرض بعض النقود ؟ ولكن ممن .... نعم ممن سأفرض ؟ ... آه يا الهي خُذْ أما ننتك ولا تدعني في هذه الحيرة .

أنهى الدكتور كتابة الوصفة (الراشيتة ) وقذف بها باتجاه المريض ، قائلاً له : التزم بها

- نعم ... نعم ... إذا لا احتاج إلى عملية ، شكراً لك دكتور ، الحمد لله .. ورفع رأسه باتجاه السقف متضرعاً إلى الله سبحانه وتعالى .

تلقّف الوصفه ، و نزل إلى أقرب صيدلية ، لدى دخوله فاحت رائحة الأدوية ،

قدم وصفته إلى الصيدلي الشاب .  
تمعن الصيدلي في الوصفة ثم ابتسم وقال :  
- يا أخ هل تعرف القراءة ... ؟  
- من ، أنا ، أنا ... ! ... نعم ، أعرف معي شهادة (بروفيه )  
منذ خمسة و عشرين عاماً .  
- حسناً ... هل لك أن تقرأ ما في الوصفة ؟ ..  
- لا يا حكيم ... لا أستطيع فك طلاسم الأطباء ... أنها  
اختصاصكم ..؟!  
- لا يا أخ ، أنها واضحة تماماً وليست طلسماً أو أحجية  
؟ لقد وصف لك  
الدكتور قندرة صحية نمرة ( 43 ) وهذا هو دواؤك ،  
الوصفة تصرف لدى محلات الأحذية وليست عندي .

الفكرة منذ عام 1994

## محتزم 000 قبل الحصاد

دخلت عليهما الخادمة، ذات الستة عشر ربيعاً، بثياب  
قصيرة و مريلة مشجرة، توهي بألوان زاهية قزحية  
وصدر مندفع، بارز  
، تكاد تخرج من القميص عنوة حيث فُقد زرّان من  
العروة، وببشاشة وجه و صوت عذب قالت لمعلمتها:  
- رجل آخر على الباب 000؟

بتثاقل و ترنح قامت السيدة مازال في كأسها  
ثمالة، وضعته على صينية زجاجية تلمع كالألماس  
واستأذنت من جلسها بعض الوقت0  
كانت تعتبر هذا الجليس ضيفا ، لذا كانت له معزة و  
اهتمام خاص،ولدى مغادرتها طلبت له كأساً آخر من  
النيبذ المعتق

أما هو ، فقد مد يده الى طاولة قريبة لجلب مجلة  
فنية ، بدت له من الغلاف ان معظم صورها مشوهة بقلم  
-البيك- حيث رسم شوارب لفتاة جميلة من عارضات  
الأزياء،وزوالف و نظارات لمثلة معروفة، وكتابات  
مبعثرة على فخذ ممثلة،ورسالة عشق وهيام موقعة  
بحرف سين0

\* \* \*

تحركت أكرة الباب،رفع بصره باتجاه الخادمة و  
الكؤوس المليئة بالشراب،حيث وضعت أمامه على  
طريزة خشبية،كأسه المخصوص 0وقالت بغنج:  
-هذان الكأسان للمدام وعريس الغفلة0 وخرجت دون  
أن توصلالباب0

كان الجو صيفا،حيث نسيمات الهواء تلمح ستائر  
النوافذ وتهزها بلطف كرقصة سلو هادئة،وكأنها تستأذن

وهو يقلب صفحات المجلة،سمع صوتاً،أحس من الوهلة  
الأولى بأن هذا الصوت مألوف لديه 000 سمعه بلا  
شك 000ولكن أين؟00000أين يا(000)؟

- (نادى الخادمة وسألها بفضول) :تأخرت سيدتك 0 فمن  
ضيفها العزيز يا ترى ؟!000  
- ابتسمت بخبث0000؟  
- غني اذا ؟000لهذا أطالت الجلوس-القعدة- معه  
0ونستني تماماً هل أصبحت خرقه بالية0000أم جيفة؟  
- أبدا،سيدي 0 أنت الكل 0  
- اذا ما تسويغك لتأخيرها0ألا يدل ذلك على أنني  
أصبحت في عداد000 - ولم يكمل- فردت الخادمة:  
- سلني أنا؟ فهي تعترف لي عن مكنونات قلبها0  
- بالطبع أنت أمينة سرها(قالها بسخرية)0  
- نعم سيدي،أمينة سرها،أما سؤالك عن الشخص  
الموجود،فهو قادم من منطقة الجزيرة0 أسمه  
0000أسمه000(رفعت عينها باتجاه السقف و وضعت  
سبابتها في فمها)0إسمه يبدأ بحرف الفاء على ماأظن0  
فراس00فارس00فادي00أيوه تذكرت0- وقبل أن تنطق  
باسمه - ازداد خفقان قلبه0  
اسمه فواد0نعم فواد0000نعم 0نعم0

- وبغفوية تاممة صاح : غير  
معقول، 0000 مستحيل أن يكون 000- وتمتم مع  
ذاته - قد يكون هناك شخص آخر يدعى بهذا  
الاسم 0 تهدل صوته وانخفض وقال : الصوت  
000 النبرة 000 الحرف المدغوم لديه، ثم اردف  
قائلا :

لا 000 لا 000 لا أصدق 000 انه رجل محترم 0 أولاده  
أصغرهم أكبر مني سنا 0  
- ردت الخادمة : أنت أيضا محترم، لم لا تسأل ذاتك  
؟ 0 أمثالكم كثر 0 أليس الداخل رجل كباقي الرجال، له  
مشاعر وغريزة 000 ألم يهبنا الله نعمة الشهوة ؟ 0 وعلى  
ما اعتقد فقد وهبها للبشرية جميعا ؟! 000 لم يفرق بين  
محترم و غير محترم، أم أنت الذي تملكها و غيرك لا  
000 مثلما تبغي السعادة و اللذة، بالتأكيد هو أيضا يطمح  
لذلك 0000

- بالرغم من صغر سنك ، ألا انك تبدين لعينة 0  
- ابتسمت 000

- ولكن لن أصدقك ؟ 0 بالتأكيد هذا الرجل ليس  
المقصود، قد يكون الصوت و النبرة والأدغام  
تتشابه لحد ما 00 حتى الاسم 000 نعم الاسم 000 أما  
العم فؤاد الذي اعنيه فذاك مستحيل ؟ 0  
- لماذا مستحيل ؟ 0 ثم لم انت قلق بشأنه ، أتعرفه ؟  
أهو قريبك ؟

أتخاف أن يراك هنا؟ 0  
- لا أبدا 000 لقد ذهبت بعيدا 000 بعيدا جدا 0 مهما  
حصل فأنا  
شاب ، أما هو متزوج 000 وله أولاد ومثلما ذكرت لك  
فصغيرهم  
أكبر مني 1000 لا أنني أقولها ثانية لن أصدقك، مهما كان  
فالذي  
أقصده فوق الشبهات ، هيهات أن يكون العم فؤاد ؟ انك  
تفترين؟  
- ولم الافتراء 0 تفضل معي الى الغرفة المجاورة  
لترى بأمر  
عينك، و تتأكد بنفسك 0  
- كيف؟ 00 أقابله !! 00  
- من خلف الستارة 0 وتكون قد تخلصت من هذا  
القلق و التوتر 0000 أوكي !! 00

\* \* \*

اه 000 يأم ايون! 00 ماذا فعلت بالرجل؟ 000 وماذا حل  
به ؟  
انه هو 0000 هو بذاته 0 فسماعه لكاسيتك المسمى  
بالليبيدو كاف بدخوله لعالمك المخملي الغريب ، فكيف  
و أنت جالسة على فخذي، وهو يلف خصرك بيد ووضع  
يده الأخرى على أردافك المحشوة بالإثم والعهر

يمرغ فمه من ذقنك الى رقبتك بحركة انسيابية، و  
من ثم الى حلمتك اللامبالية -لأنه قد مرّ عليها الكثير  
الكثير - ويترك

سائلا رطبا من البصاق الممزوج بالخمير على جيدك  
المحمر من القبلات و العضات 000

\* \* \*

آه 000 يا جاري المحترم 0000 يا ذا الهيبة و الوقار  
000 أين

الوقار ؟0

لقد نسينك الملعونة كل شيء ، و لم تعد تتذكر بأنك  
تجاوزت الخمسين ، وانك لم تتعر أمام زوجتك يوماً من  
الأيام بهذا الوضع 0000 أين الوقار ؟00

أنسيت أشهر ما قبل الحصاد؟00 أشهر الشؤم و الفقر  
المدقع ، أشهر الحرمان ، حيث لا يملك معظم الناس المال  
في تلك الفترة - وأنت منهم - و يبقون تحت رحمة  
مصاصي الدماء (درا كولا المواسم) 0 تتعرض أنت  
وغيرك لاستغلالهم وجشعهم ولكي لاتذل لأي مخلوق  
فتمضي - توقع - على السند حسب ما يملئ عليهم  
ضميرهم الغائب - القرش بالقرش - أنسيت ؟00 معك

يا لسوء طالعك، قطعت المسافات، بعد انتظار  
طويل 00  
حصدت 0000 وزعت 000 والباقي جلبتها معك لتنتشرها  
بين (000) و تمسح لعابك، لأجل لحظة سعادة أو لذة  
وهمية 0

آه 000 لو تعرف بأنني وراء الستارة 000 أشاهد فيلما  
سينمائيا أنت بطله أو ربما ضحيته 0000 ولكن من  
سيصدقني 000 من؟ 0  
أقول لاهالي القرية، بأن صديقا أخبرني بذلك؟  
لأحديصدق 0  
أقول أنني رأيته بعيني هاتين اللتين سيأكلهما الدود؟

سيقولون لي بالتأكيد، ماذا كنت تفعل في ذلك المكان 0 و  
سأفصح ذاتي؟  
يا لسوء طالعك وطالعي 000 لأنني لم أستطع حتى  
البوح 0

1997-4- 24

## المكالمة

التقط الرقم المكتوب على قصاصة ورق بلهفة لا يصدق  
واخذ يتأمل الرقم .  
- يا الله .. لو كان صحيحاً , سأحدث معه مطولاً .  
بالتأكيد سيكون حديثه شيقاً لا يمل , إنه فنانٌ مثقف ,  
ليس كغيره من اللذين يحملون بزقاً أو طنبورة  
ويرتدون سترةً ملونةً ويضعون في أعناقهم كرافات .

لا... لا ابدأ أنه فنانٌ بمعنى الكلمة , كلهم يشهدون له  
بذلك , حتى سعيد يوسف الأمير . الحديث يجب ان يكون  
موزوناً يمرُّ من العقل قبل النطق والخروج من الفم . يا  
الله ... كيف سأبدأ ..؟! !

-كان يحدث ذاته - بعد التحية والسلام ...هـ... أ  
قول...أنا... أعوذ بالله من كلمة انا. لا... لا تصلح هذه  
البداية ,... ولا أستطيع التكلم ضمن قوالب جاهزة  
ومبرمجة سأفرغ ماضي جوفي من كلام وسأتلج  
صدري وليقل عليّ انه لا يعرف الإتيكيت - وتمتم -  
إذا كان الرقم خطأ فماذا سأفعل ؟ .  
التفت إلى أخته وقال: هل انت متأكدة من الرقم ...؟! لا  
تخرجيني  
يا أختاه .

- أخذتها من صديقتي وهي تحدثت معهُ .  
طوى القصاصة ووضعها في جيبه ولكنه لم يعد  
يحتمل الجلوس ، فنزل إلى بيته في الطابق الأرضي.

\* \* \*

كانت النجوم ساطعة و متألئة منتشرة في السماء و  
القمر مستدير كقطعة نقود مرسوم عليها وجه إنسان ,  
وكأنه يقول : إنني أراقبُ تحركاتكم أيها البشر ! .  
وبالرغم من مراقبة القمر للارض إلا انه كان يبدو

كانت الساعة تشير الى الثانية عشرة وبضع ثوان و  
الرقم المطلوب اثنا عشر أيضاً, رقم طويل يجب حفظه  
في الذاكرة ولا بد من الانتباه والحذر, فأني لمسة خاطئة  
ستجعله ضمن قائمة المزعجين و هذا ما لا يريده .  
اجمع قواه اخيراً و بسملة , تنفس الصعداء , نظر في  
القصاصمة والعيون صار يتأرجح كالبندول بينها وبين  
أرقام الهاتف وإصبعه تتحرك كضارب آلة كاتبة .  
- صفر ... صفر ... أربع ... ألخ.  
- يا سلام ... التقط الرقم بسرعة , يبدو أنني محظوظ  
الليلة ...  
- ترن ... ترن ... تناهت الى مسامعه :يس  
... نيس ... إز ... نمبر؟ This is the number كاد لا  
يصدق حينه ... وبلهفة المشتاق قال:  
- ألو ... ألو ...  
- من فضلك باستطاعتك التحدث بعد 20 دقيقة لو  
سمعت؟  
- ألو ... ألو ...  
- من فضلك بعد 20 دقيقة وشكراً ... اغلق  
الخط تجمد في مكانه , تلبدت في روجه سحابة  
صفراء كئيبة, كان الصوت معروفاً ... إنه هو  
... صوته ... بلا شك ... نبرته ...

- أستطيع أن أميز صوته من بين أصوات العالم  
أجمع ولكن لماذا بعد عشرين دقيقة. أتري كان  
الرد من آلة التسجيل أو ما يسمونها السكرتيرة  
أم كان هو بالذات ...  
الرقم صحيح مائة بالمائة وهذا بيته !!.. وبشكل  
هستيري طلب رقم أهله في الطابق العلوي .  
- ألو... يا جماعة، احلف لكم باني تكلمتُ معه  
وردد علي وقال بعد عشرين دقيقة .  
تعاليت الضحكات من الطرف الثاني من الخط ، وقالوا  
: سنأتي إليك حالاً...، لحظات وسمع وقع أقدامهم وهم  
ينزلون من الدرج ، تجمع الأهل.  
كان الهاتف على الطرييزة كشيء مقدس بينهم ،  
ينظرون الي بعضهم بعضاً تارةً والى الساعة تارةً  
أخرى وبدا القلق يسيطر عليهم ، الثواني أصبحت دقائق  
والدقائق أصبحت ساعات ...  
مازحهم قائلاً :لو كنتم الآن في الفراش... لكان افضل  
لكم من الانتظار ؟ . ما فائدة وجودكم هنا حتى هذه  
الساعة المتأخرة ، سأتكلم معه وستسمعون صوتي فقط  
لان جهازي بلا أنتر فون.  
ردت إحداهن : لا عليك سنجلب الجهاز من فوق [أشرت  
نحو الطابق العلوي ] . ونسمع صوته.  
-[قال في قرارة نفسه] ولكن ماذا سأقول له . وبماذا  
أفاتحه ... وعن أي شيء سأحدث ؟ . في السياسة لا

- هذا عادي جداً بالنسبة له , لأنه فنان كبير , فمثله يتلقون مكالمات مماثلة ليلاً نهاراً و هذه العبارات أصبحت روتينية لديه .

كلهم ينظر إليه، مبتسمون حيناً، منفعلون حيناً آخر ، جالسين في وضعيات مختلفة ،منهم مستلق على الارض و منهم على الكراسي باستثنائه فقط يتأرجح جيئاً و ذهاباً كأرجوحة غير مستقرة ... أخيراً مرّت عشرون دقيقة كانت على أحر من الجمر ، أخذ الكرسي من أحدهم و جلس ليرتاح ويتكلم بأعصاب هادئة... .. هياً نفسه ... استعد لرفع السماعه و بإصبعه بدأ الضرب على الأرقام الطويلة.

- ترن... ترن... و توووت . ثم انفصل.

- لم يرفع أحد السماعه (قال في سره )

العيون جميعاً في اتجاه واحد ، و الكل أذان صاغية ، ينتظرون بلهفة واشتياق و لكن في الطرف الثاني لاجواب ... مرة... اثنان... ثلاثة...

حاول عدة مرات و لكن دون فائدة . لا جواب .

تغير ملامح الجميع ،سمع صرير أسنان أحدهم و بدأ اليأس يفترس وجوههم.

- لا عليكم سأحاول مرة أخرى .

- صفر... صفر... أربع... الخ... ولكن دون ردّ أيضاً.
- نظر الى الساعة كان عقربها الكبير مطبقاً تماماً على الرقم ستة أي إنهم انتظروا حوالي نصف ساعة عوضاً عن عشرين دقيقة.
- بصوت حزين و مقهور - قال أخوه: سأذهب... غلبنى النعاس ، من منكم سيأتي معي ؟
- اذهبوا الى فراشكم ، و تصبحون على خير .
- بعد لحظات سمع صوت إغلاق الباب لدى مغادرة الجميع .أما هو فجلس على الكرسي ثانية . و استأنف عمله كضارب آلة كاتبه على الأرقام الطويلة... رنة... اثنتان ... - هالو... هو سيكينغ ؟
- الو... أبو جوان يتكلم .
- أهلاً و سهلاً، اعتقد أنت الذي طلبتني منذ قليل و طلبت منك التأجيل لمدة عشرين دقيقة، أليس كذلك ؟
- نعم... نعم أنا الذي كنت ...
- أخي الكريم أتمنى أن لا تؤاخذني على التأخير ،كون الاتصالات معي كثيرة ويحتم عليّ أن أبقى مع المعجبين .
- اذا لم نتحدث معك فمع من سنتحدث ،أنت فناننا القدير؟! .
- أشكرك ، نعم يا أخ تفضل بالحديث ؟

- صدقاً لا أعرف كيف أبدأ وكيف أعبر لك عن مشاعري و أحاسيسي و عن إعجابي و احترامي لشخصك الكريم ،نحن جميعاً في هذه البلدة الصغيرة نحبك ، نعشقك و نعشق صوتك الصداح . أنت بلبلنا ...لساننا... قلبنا ..؟!

كان صوته عالياً، و نبراته تمتزج بالحزن و الفرح ، فسمعوه في الطابق العلوي فقفز أخوه الصغير من الحائط فرحاً و فتح الباب الموصد لأخته . ودخلا الصالون منشرحين كأنهما أنجزا عملاً كبيراً ، يتهامسان

- أضحك هو ؟ لا نصدق ... أتتكلم معه بالذات ؟ .
- بعد أن وضع السماعة - ابتسم و قال : صدقوني الحديث كان معه ،بالمناسبة سألني عن أحوالنا جميعاً و تمنى لنا الخير والسلام .
- و ماذا بعد ؟
- تصوروا فقد سأل عن الشتاء و المطر و الموسم ، يا لذكائه الخارق و كأنه يعرف معاناتنا مع المطر وشحه .ثم استأنف يقول : لقد سألني عن حبي للموسيقى، و على أية آلة أعزف ؟!
- وماذا قلت له ؟
- لقد أخبرته عن حقيقة حبي للموسيقى و الشعر فقلت :أموت في الموسيقى ولكنني مع الأسف لا

فقال لي : حسناً ... عظيم جداً، ها أنا وأنت تجمعا موهبة  
مشركة .

- غيره ؟ ...
- قال لي ، هل غنى أحد المطربين أشعارك . فقلت :
- نعم ... هناك أربعة مطربين غنوا أشعاري  
وأستطيع ان اذكر لك أسماءهم (هنا قاطعني  
قائلاً) :
- أخي الكريم ، احضر الآن كاسيتاً جديداً لهذا  
العام . وسيكون جاهزاً خلال هذين الشهرين
- إذا سنسمع جديداً في فترة قريبة .
- قال : هل لديك عنواني ؟
- للأسف لا يوجد سوى رقمك .
- اذا أكتب ، و أملئ عليّ العنوان :

PO box

وقال أأمل أن ترسل أشعارك سريعاً لكي ترى النور  
قريباً؟

- أشكرك ... أشكرك جزيل الشكر ، بصراحة لم احلم  
يوماً بهذه الفرصة ، أنها أجمل وأغلى فرصة ... ان قلبي  
الآن يرقص من الغبطة والسرور ، تصوروا أخوكم أبو

\* \* \*

بالرغم من تأخر الوقت فقد زال السهاد عن عينه ، تمدد  
في الفراش وهو يحلم بالمجد والشهرة وفكر في كيفية  
المراسلة ....

- العنوان لدي والأشعار جاهزة . فما المشكلة ؟  
- ألا تعلم ما المشكلة؟!  
- لا ...

- هل تتغابي ؟ أنت تعلم جيداً ما هي المشكلة ؟  
ليكن في معلومك إذا راسلت من هنا ، سيكون  
مصير الرسالة حتماً سلة المهملات ، إن لم  
يضاف في المصنف المسجل باسمك في دوائر  
ال ...

..يا شاطر؟

- ماذا تقصد ؟

- إما أنك لا تفهم أو أنك فعلاً تتغابي ، الذي أعنيه  
مفهوم وواضح .

- ولكنها فرصة ثمينة ، قد لا تتاح لي مرة ثانية .  
- إيه .. أنت حر؟! واعدر من أنذر ..

- هناك حل آخر ؟

- تفضل هات ما عندك .

- لم لا أرسلها من مكان آخر ....أليست فكرة ممتازة ؟
- فكرة ...يا لها من فكرة ،أتحسبهم أغبياء؟! .....
- يا الهي أصبحت أتحدث مع نفسي ،انفصام في شخصيتي يا ساتر..
- كانت هذه المحاورة بينه وبين ذاته الى أن استسلم للرقاد.

\* \* \*

في الصباح الباكر و على غير عادته ، استيقظ أبو جوان منشرح الصدر ،مغتبطاً ،وكأنه ملك الدنيا ، لملم أوراقه و دفاتره القديمة ،رتب أشعاره المختارة و بخط مقروء وضعها في رسالة و أرسلها مع شخص سيسافر إلى محافظة أخرى و يرسلها من بريد تلك المحافظة .

- بعد فترة - ذاع الخبر وانتشر كالنار في الهشيم ، أشعاره سيغنيها المطرب الكبير في فترة قريبة جداً . لمع نجمه و اشتهر كشاعر غنائي ،توافد إليه الفنانون و الصحفيون وصادقه الشعراء ودعوه النالامسيات والمهرجانات ، واستقبله الناس بكل حفاوة وترحيب ،يسألونه عن أشعاره ودواوينه وجديده متى سيطبع ؟.ويتباهى بثقة غير معهودة حيث يرد :

- إنشاء الله ستسمعون ... نعم وسيكون قريباً جداً .  
بعد مدة زمنية لا بأس بها، سمع من أصحاب  
الستيريو هات بان الفنان الكبير قد أنجز شريطه وسيتم  
توزيعه بعد عدة أيام فقط .  
وتم توزيع الشريط ( الكاسيت ) فعلاً. وما ان  
سمع بوصول الشريط ، تحركت خلية النمل في جسده ولم  
يعد يتمالك ذاته وفضوله ، فبادر الى اقرب محل يطلب  
الكاسيت الجديد.  
أخرج النقود ليحاسب ... إلا ان صاحب المحل  
رفض رفضاً قاطعاً واقسم بأنه لن يأخذ قرشا واحداً و  
أردف قائلاً :  
- مستحيل يا أستاذ ، فتشريفك لمحلنا هو فخر  
كبير لنا ، ثم نحن لم نجرك و لو بعضاً من حقك  
وحق باقي الشعراء من أمثالك ، يجب ان نكرمك  
ونكرم كل عظيم مثلك ، انكم تضحون الكثير ،  
تبقى الشهرة للمطربين وانتم وراء الكواليس  
،الشاعر في بلدان العالم له حصة على إبداعه  
بل ويأخذ أجراً ممتازاً ، ألا تستحق على الأقل  
هذا - الكاسيت - المتواضع.  
- شكره على مجاملته الرقيقة، واتجه نحو الدار مسرعاً  
، واجتمع الأهل حوله لسماع أشعاره الملحنة و المغناة  
بحنجره أعظم فنان .

لمس مفتاح التشغيل بحنو وضغط.... الأغنية الأولى.... لا ليست هذه.... ثم ليس من المعقول ان يضعها في المقدمة ، (خليك واقعي أبو الجوج ،هناك شعراء كبار ألا تعلم أنه يغني لجكرخوين ،تيريز ، فقه طيران ) ... قد تكون التي تليها ... هذه أيضاً ليست هي ...

مرت الثالثة....الرابعة...انتهى الوجه الأول....

- الوجه الثاني...وصل الى الأغنية الاخيرة ..مرت كسابقاتها،تغيرت ملامحه واكفهر.

واصبح كبالونة تسرب منها الهواء ،صغر شيئاً فشيئاً ،وأحس بدوران الأشخاص والجدران من حوله و تتم:

- لماذا...؟ لماذا طلب الأشعار مني ولم يغنها...هه؟! هل مشاعر الناس عنده لعبة ،دنا من الهاتف ، رفع السماعة - انتبه له أخوه - سأله :

- سأتكلم مع الأفندي ،لم النفاق ؟ لم الكذب ؟.كان بإمكانه ان يقول الصراحة ،لماذا ورطني و جعلني أضحوكة بين الناس .

- إذا اخبره ليلاً...انه لا يستحق ان تهدر قرشا واحداً لأجله ،سيكلفك ثمن المخابرة الآن أكثر.

- لا يهم ، لأخسر خمسون ألفاً ، يكفي ان أشفي غليلي الآن و في هذه اللحظة ؟ انه عديم الإحساس و الأخلاق ؟

- وضع فهرس الهواتف أمام ناظريه ، وهو  
يرنو الى الرقم الطويل، وبدأت سبابته بالعمل، تفصد  
جبينه عرقاً، أو صاله ترتعد، عروقه كادت تخرج من  
رأسه ، لم يعد قادراً للسيطرة على جسده الملهب ، الضغط  
مرتفع حيناً و هابط حيناً اخر ، فقد التوازن والحكمة  
،سمع ردّ الهاتف ... ترن... ترن... ترن ...
- أه ... التقط الرقم ... يا لحظك العاثر... سأشفي  
غليلي منك .
- هالو ... يس... ذيس أذ نمبر
- قاطعه بحده - هذا انت أيها الفنان .. كم انت  
بارع ، حدثوني عن دهائك فلم اصدق ، إلى أن  
وقع الفأس بالرأس .
- صوتك ليس بغريب عني ؟ اعتقد بأنني سمعتك  
قبل الآن ؟ أنت من تلك البلدة الصغيرة للأسف  
لم اعد أتذكر اسمك؟ أو اسم بلدتك؟
- طبعاً ستتنسى اسمي ، وهل يهتمك أسماء  
وأحاسيس الناس....
- عفواً ، ماذا تفضلت؟! ..
- أظنك سمعت ما قلت ...
- يا أخ اسمعني جيداً ما زلت في انتظار أشعارك  
، ولكنك لم ترسل إلي شيئاً إلى الآن .....
- نعم ، عليّ أنا... أفهم يا فنان ، المرء لا يلدغ من  
جحره مرتين ، و أنا لا اسمح لنفسي بأن الدغ

- صدقاً يا أخ أشعارك لم تصلني بعد، وأنا في انتظارها.
- هل تبغي جنوني يا رجل، لا تخرجني عن طوري؟ أقول لك بعثتها... بعثتها منذ شهرين و أكثر.....بعثتها.....- وقبل ان يضع السماعه - كان الصوت من الطرف الثاني ينادي :  
.... هالو.... هالو.....

1996-6-5

## اسمها والعيون

حفلة افتتاح المعرض لفنان تشكيلي مغترب، المدعوين من الشخصيات السياسية و الأدبية والاجتماعية معظمهم من المغتربين، باستثناء بعض الرؤوس التي كانت تؤكد انتماءها إلى القارة الأوروبية0امتأت الصالة بالمدعوين، وفي مثل هكذا مناسبة، تبدو فرصة طيبة للتعارف، حيث تسمع

كانت تنتقل بين الكتل الأدمية، تشاهد اللوحات  
بإعجاب و سرور ، لأنها المرة الأولى التي تزور مناسبة  
كهذه وفجأة تسمرت بمكانها وسرت رعشة باردة في  
جسدها ، كأنها رشقت بسطلٍ من الماء المتلج ، بدأت  
بأطرافها حتى عمت كامل الجسد ، انشغل حركتها و  
خارت قواها، الأطراف لم تعد تتحمل الوقوف 0 العيون  
جامدة ، ثابتة باتجاه واحد فقط ، باتجاه لوحة تحاكيها  
بعيون جد حزينة، كئيبة ، تسرد لها قصص و حكايات  
عمرها أربع سنوات خلت، مّرت خلال هذه  
اللحظات، أوقــــــــات كانت مدفونة  
000منسية000كامنة0لحين هذه اللحظة0

دارت عقارب الساعة إلى الوراء وهي مازالت  
جامدة- تتمم - والعيون مستقرة في اللوحة انه  
هو؟000هو بالذات 0؟  
- سألت ذاتها - مع أن قلبي لا يخونني إلا أنني سأؤكد  
من الفنان أيضا؟0  
بتناقل و بطئٍ شديدين خطت بضع خطوات نحو اللوحة  
و كأنها حاملة جبل من الحزن  
- أيعقل أن يكون 000؟

- وما علاقته بالفنان00؟
- تشئت أفكارها في تلك اللحظات المريرة ،أسئلة عدة  
تريد أجوبة صريحة،صادقة،انتبهت حولها وكأن عيون  
الحضور ثاقبة باتجاهها فقط 0
- بالرغم من ألامها وأوجاعها إلا أنها تماكنت و حاولت  
أن تتظاهر وتبدو طبيعية0 بادرت تلمم بعض من قواها  
المنهارة،تنفست الصعداء،رفعت جسدها قليلاً ، تجولت  
بعيونها تبحث عن الفنان0تقدم نحوها شاب ذو هيئة  
مقلدة لشبان الأوروبيين وابتدراها قائلاً:
- هالو
- هالو000انت00
- قاطعها - عفواً اعتذر نيابة عن الفنان،و أتمنى أن  
تكون قد أعجبتك المعرض
- جداً!! لهذا طلبته0
- خدمة أخرى ؟
- ردت بعصبية:أود رؤيته0
- يقول المثل : (الغائب حجته معه )، وقد لا يأتي هذا  
المساء0
- حسناً000حسناً0هل لي بمعرفة اسم الفنان؟
- ألم تنتبهي إلى اسمه على اللوحة ،اعتقد أن الرسامين  
ينسون كل شيء،حتى أمهاتهم ولكن لا ينسون اسمهم  
وتوقيعهم على اللوحة؟0

- لا 000 أقصد اسمه الحقيقي 0 هنا أغلب الأسماء فنية أو  
حركية مثلما يسمونها السياسيون 0
- كل ما أعلم أن اسمه أرشفين؟ 0
- كم كنت ارغب برؤيته؟ ألم يترك لكم  
عنوان 000 رقم التليفون 000 او أي شيء للاتصال  
به 0
- لدينا عنوانه وإذا كنت راغبة لشراء 00000 -  
أثناء ذلك- سمعا صوتاً يعتذر للجميع بسبب ظروف  
قاهرة اضطره للتأخير 0 كان الصوت الآتي هو  
صوت الفنان
- ابتسم الشاب- وقال:
- أنت محظوظة يا أختاه ،ها قد جاء، وبإمكانك  
التحدث إليه، والاتفاق على سعر اللوحة 0
- ازدهرت أسارير وجهها لقدمه، وتقدمت نحوه وهي  
ترنو إليه بشوق وحنية، كأنها على معرفة به منذ أمد بعيد  
واقتربت حتى لاصقته 0
- كان شاب متوسط القامة و المواصفات 0 يكسوه  
شعر خفيف ذو جبهة عريضة، حليق الوجه  
والشارب يملك قدراً من الحنكة والذكاء 00 لفت  
انتباهه إلى تصرفاتها والى أسارير وجهها، ولمح في  
عيونها الذابلية شيئاً - قال في سره - يبدو أنها  
تخفي سرّاً في ذاتها ،هذه التصرفات ليست إعجاب  
،كما انها ليست 00000(0000)

- وبحركة لا شعورية مدّت عنقها إلى الأمام قليلاً و  
وضعت يدها على صدرها ،مقدمة نفسها إليه
- شاهي؟ 000 أنا شاهي 000أسمي الحقيقي
  - آرشفين 000أسمي الفني والحقيقي أيضاً 0 (ابتسما بان  
معاً) 0
  - دعاني أحد الأصدقاء إلى الحفل 0
  - لي الشرف 0
  - إنها المرة الأولى التي ازور معرضاً؟
  - أتمنى أن يكون قد نال اعجابك 0
  - جداً! 00! ولهذا كنت أود رؤيتك؟
  - بخصوص 0
  - تلك اللوحة 00! - و أشرت بإصبعها إلى اللوحة  
المقصودة .
  - تقصدين لوحة (زمبيل فروش ) ما بها؟! 0!
  - لديّ بعض الاستفسار، لو سمحت؟ 0
  - تفضلي! 0!
- تقدم الاثنان باتجاه اللوحة ،وازداد سرعة دقات قلبها ،  
اضطربت في خطواتها قليلاً 0حاولت جاهدة أن تتمالك  
نفسها وهي أمام اللوحة 0أردفت قائلة :
- في البدء أشكرك على هذا الفن الجميل الرائع،وعلى  
هذه الألوان المنسجمة مع مواضيع لوحاتك وبصراحة  
لديك دقة حتى في الجزئيات، وبالأخص هذه العيون  
التي تحرك بعيداً بعيد ،هذه العيون الحزينة التي تكمن

- بدت ابتسامة الرضى على الفنان- وقال:
- شكراً لملاحظاتك، كل ما ذكرته صحيحاً، بالرغم من أن هذه زيارتك الأولى كما تقولين ولكن لديك قوة في الملاحظة ولا أبالغ أن قلت لك أن هذه اللوحة بالذات غالية جداً لدي0 وسأسر لك بان هذه العيون الحزينة وهذا الوجه ليس من وحي خيالي ، بل هو وجه شاب غال اعتبره أخي وصديقي وأستاذي في الرسم وهو الخيط الذي يربطني بالوطن0
- لدى سماعها بالوطن - انتابتها الرعدة ثانية وكادت تهوى على الأرض، شعرت بدوار في رأسها0 بألم وحزن عميقين اعتصرت قلبها المروع، احتبست البكاء في حنجرتها، حجزت الدمع في مقلتيها فأصبحت تهذي و تتمتم:
- إحساسي كان في محله، عيناى لم يكذباني، إذاً هو؟
- نعم يا أنسة لم أفهم؟
- لا عليك ، إنها لقصة طويلة0
- أية قصة؟
- قصة استاذك0

انتبه إلى هذه الكلمة، تبادر إلى ذهنه شيئاً، فبادرها  
قائلاً: قلت لي إن اسمك شاهي؟!!

- نعم !
- يا الله 000يا للمصادفة000هل هذا معقول؟ كان  
يحكي لي في رسائله عن حبيبته والغربة0 وضرب  
يده على جبينه، يا لغبائي، كيف لم استطع معرفتك  
منذ البداية تفضلني معي إلى بار قريب من هنا  
لتحدثيني عنك وكيف وصلت إلى هنا؟
- حسناً00؟ سأحدث لك ، ولكن أخبرني أنت عنه في  
الأول0
- تفضلني ؟

دخلا البار 000جلسا صامتين000اخرج علبه  
الدخان0 نظرت إليه وهو يشعل السيجارة وقالت بلهفة  
ولوعة المشتاق :  
- أخبرني عنه أرجوك؟  
- وماذا أخبرك ؟  
- عن كل شيء، أين هو الآن؟ ما هو ظروفه؟ هل  
تتصل به ؟

نعم اتصل به و أرسله بشكل دائم، انه إنسان عظيم -هز  
برأسه - نعم عظيم وتقول الحكمة عن العظماء0 أن  
العظيم له قلبان، قلب يتألم و قلب يتأمل0  
ارتسمت على شفثيها ابتسامة صفراء حزينة وقالت :

- لا اعتقد بان يكون للأمل بقية، بالتأكيد إنه يتألم،  
لأنني عشت معه أحلى أيام حياتي ، كان في منتهى  
الرقّة والأخلاق وعلى قدر من العلم والمعرفة (كان  
جميع أفراد عائلتي يثنون له وموافقون على  
ارتباطنا) باستثناء أحق أمي لا يفقه في الدنيا شيئاً  
هو ابن عم لي (خرجت من أعماقها تنهيدة قوية -  
واستأنفت - ) فقد وقف في طريقي وحيرني، وتعلم  
ما معنى الحيار في مجتمعنا، أنها اوسخ مصطلح  
وعادة بالية يرفضها التمدن و الحضارة (وبعقله  
السقيم فرقنا عن بعضنا، وللأسف أيده العشيرة بذلك  
ووقفوا بجانبه ، عندما طلبوا والدي للإنصاف -  
وكررت كلمة الإنصاف وهزت رأسها - ذرفت  
دمعة على خدها (واستأنفت ثانية - اتفقوا جميعاً  
على تزويجي من شخص ثالث ، كوني رفضت ابن  
عمي بشدة وهددتهم بالانتحار (وكي لا ألطخ سمعة  
أبي بين العشيرة، انتزعت قلبي من صدري (0  
- و تزوجت من الشخص الثالث؟/ قالها الفنان بآلم/  
- نعم  
- وأين زو000؟ - وقبل أن يكمل - ردت قائلة :  
لم نكن متفاهمين ، كان يعيرني بالماضي وكانت  
النتيجة ابغض الحلال وضياعي هنا.

2000-12-19 ماهين شيخاني

اذكروا محاسن موتاكم

قبل أن أدخل إلى المجلس سمعت صوتا مألوفاً لدي من  
عادته أنه يتحدث في العزاء بكل شجاعة ولا يهاب  
أحداً. يتمنى الخير للجميع، يكره التملق، شخصية

سلمت عليهم وجلست قبالتهم والجميع يتنصتون له مرغما منهم لاستماع أحاديثه إلا أنني أحببت حديثه الواقعي والجريء عن الإنسان المسلم وعن الشريعة الإسلامية وعن أمور الدين والدنيا . وتبين لي أن الحديث يدور حول شرح آية قرآنية : أن الله غفور رحيم وهو شديد العقاب أيضا . كان البعض يتأفف وقد انتفخت أوداجهم غيظا ، لاصراره على ان يؤيدوه بالرأي، الا ان احدهم وبذكاء حاول أن يغير مجرى الحديث الديني الى واقعا، واستلم شيخنا الحديث وانتقل الى واقعا المزري في هذه المنطقة العشائرية . و التي لم تعد كسابق عهدها حيث كانت منطقة معروفة بكرمها وعطاءها وإنسانيتها . أما الآن الفساد والنميمة والربا واللانسانية قد استفحل في المجتمع ، كما لن أخفيكم سروري البالغ جدا لدى سرده هذه الحكاية :

يحكي أن ثلاثة أشخاص نزلوا ضيوفا على رجل واثناء  
وقت صلاة الظهر أراد الأول أن يتوضأ  
فخرج معه صاحب البيت ليبدله إلى مكان الوضوء فقال  
له الضيف:

- لا تهتم كثيرا بالباقي أنا الشيخ وهم كلابي ،
- .....? ( لم يرد صاحب البيت  
سوى بابتسامه باردة ) .
- خرج الثاني للوضوء فاصطحبه صاحب البيت إلى  
المكان ، همس الضيف وقال:
- أنا الشيخ لا تهتم بهؤلاء الكلاب
- .....? .(ابتسم ابتسامه صفراء وهز  
رأسه ) .
- خرج الثالث أيضا همس في أذنه وقال:
- لا تهتم بهم كثيرا انهم كلابي والشئى ....
- سبقه صاحب البيت وقال: أنت الشيخ والزعيم  
وابن الأصول من بينهم. وهم كلابك ؟
- انزعج صاحب البيت كثيرا من تصرفاتهم  
،ومن سوء أخلاقهم ومعاملتهم للبعض ، فذهب  
لزوجته لإحضار الطعام وذبح شاة وقال لها: عليك  
تحضير الغداء بسرعة وهمس في أذنها.
- استغربت المرأة وقالت لزوجها : ماذا تقول ! ؟
- لا عليك افعلي مثل ما أطلبه منك ؟ .

أثناء تناول الغذاء قدم صاحب المنزل  
السفرة إلى الضيوف وقال لهم تفضلوا، تقدموا للطعام  
- نظروا إلى بعضهم وقالوا : ما هذا ؟ عظام فقط  
. ماذا نفعل بها؟  
- لتأكلوها؟! لقد قمت بواجب منزلي وذبحت  
وأمرت زوجتي بفصل اللحم عن العظم  
وتقديمها لجنابكم لأنها طعامكم المفضل، كونكم  
انتم الثلاثة كلاب.  
خيم الصمت قليلا على المجلس ونظر بعضهم  
إلى بعض، انتصب أحدهم وحمل عباءته و خرج ، ثم  
تلاه شخص ثانى وثالث ورابع و هم يحدقون  
بالمحدث نظرة كلها حقد وازدراء

- الدرياسية- 2003 /1/7

## الموندم

- 1 -

يكاد رأسي ينفجر ، تأخذني الأفكار بين أمواجهها  
المتلاطمة بعيداً بعيداً ثم تعود بي إلى حيث كنت ، لا  
استقرار في ذاتي ، عقلي شارد حيناً وفي حالة صحو تام  
حيناً آخر ، نار تتأجج في داخلي . أحرق نفسي بنفسي ،  
أحاول نسيان الموقف ولكن هيهات ؟

لم أعد قادراً على التركيز ، أخطئ في الحسابات ، لم أعد أحتمل ، لذا عليّ إغلاق المحل وأخذ حبوب السيتامول من الصيدلية والعودة إلى البيت .  
لا أعرف كيف تماكنت نفسي ولا كيف وصلت؟! أخرجت شكالة المفاتيح من جيبتي وفتحت الباب ، كانت الدار يكتنفها السكون والصمت ، ساد الصمت وكأن الحياة هجرتها ، أين تلك الأصوات والحركات والمشاعبات اللطيفة؟! لم هذه الدراجة وتلك الألعاب حزينة ، كئيبة مرمية في زوايا الإهمال ، ازداد الصداح ألماً .

رغم معرفتها بقدومي إلا أنها لم تأبه بذلك ، كانت في حالة شرود وذهول وخيبة ، أعرفها أكثر مما أعرف نفسي ، تشعر بجرح عميق وإهانة كبرى في كيانها ، خجولة من رفع رأسها ومكالمة طفلها .

- 2 -

دنوت وجلست بجانبها على السرير ، شعرت بألم يمزق صدري ، يجعلني أشلاء مبعثرة ، احتقرت ذاتي على هذا التصرف اللاحضاري واللاإنساني ، أين الإخلاص ؟ أين المودة ؟ وأين القسم؟! .  
أمانة في عنقي! .... شريكتي التي أعجبت بها ونلتها؟! ... أم ولديّ، كانت أمنيّتي أن أختار لهما أمّاً متعلمة ،

وبعد أن اخترت لهما خير أم ، وحمدت الله على هذه  
الهيئة فماذا بعد ؟ وماذا أريد؟ .. أنا المدافع بكل أحاسيسي  
وإنسانيتي عن حقوق المرأة ؟  
أنا المتباهي بديمقراطيتي وتفكيري، وأقول لو خلقتني  
الله في عهد قاسم أمين لسبقته في الدفاع عن المرأة؟!،  
أقوم أنا بهذا العمل اللاأخلاقي المنافي للشرع والقانون :  
نظرت إلى كفيّ بأشمزاز ، الأصل ؟ أن يعلم مجتمعنا  
شبه البدائي بأنني قوي قادر على ضرب زوجتي؟!  
الأصل أن يسمع الجيران صراخها وتنتشر بين الناس  
سيرة بطل؟! .

- 3 -

آه ... لخيبيتي ... آه لتصرفي الشاذ ، أصبحت أمقت  
نفسي ، أشمئز منها وكأنها تخبيّ وجهها الملائكي بكفيها  
والطفلان يرمقاني بنظرات كلها استياء حاولت التكلم  
معهما وإخراجهما من دوامة ذلك الصمت .  
- آزاد ... أفروديت ... ؟ لقد اشتريت لكما (   
الدوندرمة ) اذهبا.. لقد وضعتها الثلجة ؟ ... وأنت يا (

- انهضي ..؟ وسامحيني ... ها قد اعتذرت منك لا تخيبي ظني ، عرفتك أصيلة ولا مستُ يديها الجامدتين ، رمقتي بنظرة فاترة دون أن تنيس بشيء ولكنني أحسست بما يجول في داخلها وما قالته لي :  
- أين نضارتها وإشراقها ؟ ...  
- أين بريق عينيها ؟

لقد ذبلت كالزهرة في هذه السويعات القليلة .  
لا تزال يدي فوق يديها ، ... شعرت بسريان الحرارة في جسمها شيئاً فشيئاً ، رفعت رأسها قليلاً ، تبين لي أن الوسادة مبللة بالدموع . إلا أن استدارتها نحوي وعيناها اللتان تحاكيان وجداني و قلبي وتقولان ماذا فعلت بك ؟ ما ذنبي ؟ لِمَ هذه العصبية المفرطة ؟ أهكذا تواعدنا ؟  
انتبهت إلى تلك الدمعة التي كادت أن تسقط على الوسادة ، فمسحتها بيدي ومسدت شعرها وأنا أقول ثانية :  
سامحيني ..

ألم تسمعي بتلك المقولة الدّارجة: أن المسامح كريم  
وكريمٌ جداً . فارتسمت على شفّتها ابتسامة جعلتني أففز  
فرحاً .

## الفهرست

2	0 - الاهداء
3	- المقدمة
12	1 - الحدود
18	2 - العواصم
22	3 - المشهد
28	4 - على ضفاف الخابور
35	5 - التنهيدة الاخيرة مع الفجر
42	6 - المدير
46	7 - ليتني كنت السابع
52	8 - جو كندا تسرق المعرض
59	9 - الخطيب
65	10 - الوصفة
72	11 - محترم .. قبل الحصاد
79	12 - المكالمة
93	13 - اسمها والعيون
101	14 - اذكروا محاسن موتاكم
105	15 - الم وندم

مع تحيات يحيى الصويفي  
مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية  
SyrianStory